الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

**قسم: اللغة والأدب العربي**

**تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر**

# تمظهرات الشخصيّة في رواية _ خاوية _ لأيمن العتوم

**مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر**

**من إعداد الطالبتين:**

- **نفيسة قاسي**
- **أسماء نواري**

**إشراف الأستاذ (ة):**

**_ غنية لوصيف**

**لجنة المناقشة:**

**1- الأستاذ(ة): أ.د. فيروز رشام.....رئيسًا**

**2- الأستاذة: د. غنية لوصيف.....مشرفًا ومقررا**

**3- الأستاذ(ة): أ.د. رابح ملوك.....عضوًا مناقشًا**

**السنة الجامعية: 2021/2020**

نحمد الله على توفيقه لنا لإتمام هذا العمل المتواضع يقول تعالى: "نعمةً من عندنا كذلك نجزي من شكر" الآية 35 سورة البقرة.

ثمّ نتقدم بالشكر إلى من ساعدتنا في إظهار البحث بأفضل ما نستطيع، ويسّرت لنا بنصائحها إجتناب الوقوع في الأخطاء، إلى الأستاذة المشرفة " لوصيف غنيّة ". كما نشكر باقي أعضاء لجنة المناقشة.

وكلّ طاقم وأسرة اللّغة والأدب العربي على مساعدتهم وعملهم الدّائم لأجلنا.

# الإهداء

**لكلّ من ساندني إلى اليوم، وسيظلّ، إلى والدّي وأسرتي ...**

**وكلّ أستاذٍ ساعدني في هذا المشوار الدراسي الشائك من بدايته، بفضلكم استطعت رؤية الطريق الذي سيقودني إلى تحقيق الهدف .**

**نفيسة**

# الإهداء

إلى أمّ تعبت في تربيتي وأبٍ قاسى من أجل منفعتي، إلى من يقول الله عزّ وجلّ عنهما في محكم تنزيله: " وقل لهما قولاً كريمًا، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربّ ارحمهما كما ربّياني صغيرًا". الآيتان 23-24 سورة الإسراء.

إلى إخوتي: عبد المالك ومحمّد ومصطفى.

إلى الزميلة التي شاركت معي في هذا العمل المتواضع، إليك "تفيسة".

إلى الأستاذة " لوصيف غنية " التي اشرفت على عملنا وساعدتنا على معرفة اخطائنا لكي لا نقع فيها ثانية.

أسمـــاء

# مقدمة

**مقدّمة:**

تعتبر الرواية العربية أحد أبرز الأشكال الأدبية في وقتنا الحاضر، رغم تأخرها في الظهور، إلا أنها بلغت مرحلة النضج في القرن العشرين ونافست الشعر.

ويعود السبب في احتلالها لهذه المكانة العالية استطاعة الروائيين التنويع في مواضيعهم، كما تخلصوا من ركاكة التعبير واستخدموا الأسلوب السهل قوي في اللغة، كل ذلك الجهد أتى بثماره في ملائمة الأذواق الشعبية.

والرواية قائمة على عدة عناصر تشكل أحداثها، أهمها "الشخصية" التي تدور في المبنى الحكائي وتساعدنا على فك غموضه كما أنها تأتي في كثير من الأحيان مشابهة في أفعالها وتصرفاتها لشخوص حقيقيين، ويظهر ذلك عندما يصور الروائي واقعا مأساويا معينا، أصاب مجتمعا من المجتمعات.

ومن الروائيين الذين صوروا هذه المأساة "أيمن العتوم" والذي استطاع أن يدمج نوعين من المآسي، أولها متعلقة بالمرض وثانيها بفضائع الحرب.

ومن هنا فإن دراستنا قد جاءت بعنوان "تمظهرات الشخصية في رواية "خاوية لأيمن العتوم".

وقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع لعدة أسباب نذكر منها:

- محاولة منا لاكتشاف أنواع الشخصيات ورؤية مدى اختلافها وتشابهها عن الواقعية.
- الرغبة في تحليل وتفكيك عناصر رواية لم تدرس من قبل.
- ميلنا لدراسة المواضيع المعالجة لمشكل مجتمعي معين.
- إزالة الغطاء عن كل الشخصيات وفهم إيحاءاتها وحركاتها التي تقوم بها.

ويطرح موضوع بحثنا إشكالية كبرى وهي:

- **كيف تجلى تمظهر الشخصيات في الرواية؟**

وتتفرع هذه الإشكالية إلى أسئلة أخرى تتمثل في:

- **ما هو مفهوم الشخصية؟**
- **وما الأهمية التي تحتلها أنواع الشخصيات باختلافها؟**
- **وكيف هي العلاقة بين الشخصية والمكونات السردية من حدث ومكان؟**

وللإجابة عن هذه الإشكالية تناولنا بحثنا في فصلين، النظري والمعنون بـ "ماهية الشخصية وعلاقتها بالمكونات السردية" عرفنا فيه الشخصية من الناحية اللغوية وكذا اختلاف المفهوم عند العرب والغرب، ثم ذكرنا أنواع الشخصية وأبعادها وعلاقتها بالمكونات السردية من أحداث وأمكنة.

وعرجنا في الفصل الثاني التطبيقي المعنون ب" تمظهرات الشخصية في رواية خاوية" إلى تطبيق ما تم ذكره في الجانب النظري، ثم أنهينا بحثنا بخاتمة جاءت كتلخيص لعملنا المتواضع.

وقد اتبعنا المنهج البنيوي بالاعتماد على آليتي الوصف والتحليل وذلك نظرا لنوع الدراسة التي تناولناها، والتي فرضت علينا اختيار هذا المنهج، في وصف الأحداث والشخصيات وتحليل مواقفها.

ومن أهم المصادر والمراجع التي زودتنا بمعلومات عديدة وساعدتنا على اتمام بحثنا، رواية "خاوية" أيمن العتوم" تحليل النص السردي "محمد بوعزة"، مدخل إلى تحليل النص الأدبي "عبد القادر أبو شريفة، حسين لا في قزق، أنماط الشخصية "كارل ألبرت".

ومن أهم الصعوبات التي واجهتنا ضيق الوقت وطول الرواية.

وما يسعنا في الأخير إلا أن نحمد الله سبحانه وتعالى الذي لولا توفيقه لما لأنجزنا بحثنا، ثم نشكر لجنة المناقشة وعلى رأسهم الأستاذة المشرفة "غنية لوصيف" التي زودتنا بعدة نصائح أفادتنا في تصحيح بحثنا.

# الفصل الأول:
# ماهية الشخصيّة وعلاقتها بالمكونات السّرديّة

## الفصل الأول:

## ماهية الشخصيّة وعلاقتها بالمكونات السّرديّة

**تمهيد:**

**1_مفهوم الشخصيّة**

**2_ أنواع الشخصيّة**

**2_1_ من الناحية التي تصنفها حسب أدوارها**

**أ_ الشخصيّة الرئيسية**

**ب_ الشخصيّة الثانوية**

**2_2_ من الناحية التي تُصنّفها حسب الأحداث**

**أ_ الشخصيّة المسطّحة**

**ب_ الشخصيّة النّامية**

**ج_ الشخصيّة الهامشيّة**

**3_ أبعاد الشخصيّة:**

**3_1_ البعد الفيزيائي ( الجسماني)**

**3_2_ البعد الاجتماعي:**

**3_3_ البعد النّفسي:**

**المبحث الثاني: علاقة الشخصيّة بالتقنيات السّرديّة الأخرى (الحدث، المكان):**

**1/ مفهوم الحدث**

**1_1_ علاقة الشخصية بالحدث الروائيّ**

**1_2_ علاقة الشخصيّة بالمكان**

**تمهيد:**

تعرف الشخصيّة بأنها ذاك الكيان النابض بين الروايات، فلا رواية دون شخصيّة. فكان ولا يزال قلم الروائيّ يرسمها بمُساعدة خياله وقدرته على التعبير على لسان شخصيّاته.

وتختلف تمظهرات الشخصيّة في انتقالنا بين الروايات ومقارنتها، لكن قبل ذلك علينا الرجوع بخطواتنا إلى الوراء قليلاً، قبل الإسهاب في ذكر تمظهرات الشخصيّة، ما هو مفهوم التمظهر؟ وهل هو والمظهر يحملان التعريف ذاته؟ وكيف العلاقة بينه والشخصيّة؟ وأين مكمن ارتباطهما؟

الكلمة في أصلها مأخوذة من الفعل ظهر [ ظَهَرَ الشّيء ظُهورًا تَبيّن وبرز بعد الخفاء ... وفي التنزيل العزيز: «إنّهم إنْ يَظهرُوا عليكم يَرْجُمُوكُم» ][1]، فجاء المعنى مُتمحورًا حول خروج الشيء أو أيًّا كان للعلن ووضوحه للعيان.

إنّ هذا الكائن الظاهر يملك مظهرًا وهو [ الصّورة التي يبدو عليها الشيء ]. [2] يختلف باختلاف الطبائع والأنفس وغيرها، ففُلانٌ ذو مظهرٍ حسن وآخر ذو مظهرٍ بالٍ أو مقبول، فالمظهر يتصل بالشكل الخارجي للإنسان.

أمّا التَمَظْهُرُ [ تَمَظهَرَتْ فِكرةُ الموت في الرواية مُطاوع مَظْهَرَ: ظَهَرَت وتمحورت فيها: تمظهرت نواياه في حديثه، بدا ذلك في حركاتها ]. [3]

إذًا التَمظهُر يتصل بالأفعال والأفكار التي تتسلّل وتنفُذ إلى المسامع، أو قد تظهر في حركات الجسد من انفعالات وتصرُّفات، فمن الممكن أن يُمَظْهِرَ الروائيُّ أفكاره التي يرغب بإخراجها في الرواية، أي يُبيّنُها للقرَّاء، يُفسحُ المجال لخيالهم بتشكيلها كيفما شاءوا.

---

[1] _ إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، أحمد حسن زيات، محمّد علي النجار: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ص 578.

[2] _ المرجع نفسه ص 578.

[3] _ هيئة تحرير الموقع: معجم المعاني الجامع، 2021/04/28، almaany. com

إذَا ما يمكننا استنتاجه من حديثنا هذا هو أنّ اللّغة العربية واسعة كالبحر الذي يَتَلَقَّفُ الكائنات في المحيط ويحتويها، فالأصل الذي تعود إليه كلمة ما، يتحوّل كليًّا بإضافتنا لحرف أو أكثر، إذ أنّ كلاً من الظُهور والمظهر والتمظهُر يختلفون ويشتركون في المعنى في نفس الوقت.

أمّا عن العلاقة بين التمظهر والشخصيّة فهي علاقة تكامُليّة، إذ لا يُمكن أن تصِلنا الشخصيّة دون أنّ يُظهِرها الروائيّ لنا. وتتمظهرُ بأشكال شتّى يصعب عدها وإحصاؤُها فأنواعها تختلف وأبعادها، ودورُها في المبنى السرديِّ، وحالاتها وغير ذلك.

## 1_مفهوم الشخصيّة:

### 1_1_ لغة:

تعددت التعريفات اللغوية حول الشخصيّة في المعاجم العربية واختلفت، نظرا لأهميتها مؤخرا ولدورها الكبير الذي احتلته: [ صفاتٌ تميّز الشخص من غيره، ويقال: فلاَن ذو شخصيّة قوية: ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل]. [1]

فهي تلك العلامات التي تطبع على شخصٍ دون غيره وبها يتفرّد وتظهر هذه الصفات في أفعاله، إيماءاته وحتّى سكنَاته.

وجاء في لسان العرب لابن منظور أنّ لفظة " شخص "، هي: [ جماعة شَخْصِ الانسان وغيره، مذكّر، والجمع أَشْخَاصٌ وشُخُوصٌ وشِخَاصُ ... الشَّخْصُ: كلُّ جسْمٍ له ارتفاع وظهور ]. [2] حيث يقرن المعجم المفهوم بالصفات التي يتّسم بها الشّخص على غرار غيره من الكائنات، ولم يتم تحديد مفهوم يركّز على الشخصيّة الروائية نظرا لقدم المعجم وعدم وصوله للمرحلة الفعليّة لإنبثاق الرواية.

### 1_2_ إصطلاحا:

#### أ_ مفهوم الشخصيّة الروائية عند العرب:

مرّ مصطلح " **الشخصيّة** " بعدّة تطورات للوصول إلى ما هو عليه اليوم، إذ أنّه وفي العصر الحديث، ومع بداية ظهور الروايات التقليدية النّاهلة من التاريخ في أغلب الأحيان والمُمَهّدةَ للرواية المعاصرة، كانت مركزّة جُلُّ تركيزها على وصف الشخصيّة استنادًا إلى الواقع [ وتُعامَل الشخصيّة

[1] _ إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، أحمد حسن زيات، محمد علي النجار، المعجم الوسيط، ص 475.
[2] _ابن منظور، لسان العرب، المجلد السابع، دار صادر، بيروت، 2019، ص 51.

في الرواية التقليدية على أساس أنّها كائنٌ حيّ له وُجود فيزيقي فتوصف ملامحها وقامتها، وصورتها وملابسها...]. [1] لكن هذا الوصف لم يكن كافيًا لبلوغ الرواية المتكاملة الأركان والزوايا، إذ أنّ الإستناد الكُلّي على الواقع والتاريخ كان سببًا في هشاشتها، إذ لابُدّ من خيالٍ لإخفاء الصّدع.

أمّا الرواية المعاصرة فقد دعى كتَّابها إلى التجديد والحدّ من إعطائها [ الشخصيّة الروائية اهتماما أكبر من حجمه، لأنّ ذلك يؤدي إلى تشقُّق بُنى الرواية المتبقية].

وفي تعريف آخر للشخصيّة: [ تعتبر الشخصيّة الإنسانية مصدر إمتاعٍ وتشويق في القصة لعوامل كثيرة، منها أن هناك ميلاً طبيعيًا عند كلّ إنسان إلى التحليل النفسي ودراسة الشخصيّة ] .[2]

فالشخصيّة لها سماتٌ متفردّة تدفع القارئ للتّساؤُل عن هذه الطبيعة، وبذلك دراستها.

أو هي: [ أحد الأفراد الخياليّين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصّة أو المسرحيّة، كشخصيّة ليلى الأخْيَليّة في رواية ( مجنون ليلى ) لأمير الشعراء أحمد شوقي].[3]

فالشخصيّات إذًا هم هؤلاء الذين يجولون بين طيّات القصّة بأنواعها، ويُضْفون حياةً لها، كما أنّه من المسموح للكاتب إدراج شخصيّات مستوحاة من الواقع للقصة كشخصيّة ليلى المستقاة من الواقع.

---

[1] _ عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، دار عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص 76.

[2] _ محمد يوسف نجم، فن القصة، ط1، دار صادر، بيروت، عمان، ص 42.

[3] _ مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص 208.

## ب_ الغرب ومفهومهم الاصطلاحي للشخصيّة الروائية:

لم يختلف مفهوم الشخصيّة كثيرًا في تطوّره عند الغرب عن نظيره العربي، فقد كانت البدايات لمفهوم الشخصيّة تقرن بالشخصيّة الواقعيّة، وكأنّها إسقاط للشخصيّة الحقيقية وذلك بوضعها بين ثنايا الرواية، حتّى جاء عديد من العلماء الذين اهتموا بتطوير هذا المفهوم، كلٌّ على حسب توجهاته فها هو " فيليب هامون " ربط مفهومها باللسانيات، وتحديدًا بالبعد الدلالي [ تُعدُّ الشخصيّة وحدة دلالية، وذلك في حدود كونها مدلولاً منفصلاً، وسنفترض أنّ هذا المدلول قابل للتحليل والوصف ]. [1] فهي عبارة عن جمل متواصّلة ذات دلالة ووظيفة، ولكلّ شخصيّة المعنى الذي تأتي لإظهاره.

كما عرّفها بأنّها: [ مجموعة من الشخصيّات المحدّدة من خلال مجموعة من الوظائف الدّائمة، ومن المواصفات الأصليّة، كما يتميز بانتشاره في مجموع الحكاية]. [2] أي أنّ الكاتب يعطي كل شخصيّة ينسجها بإبداعه مهامًّا تقوم بها، سواء كانت مهامًا محدودة أو كثيرة تسعى وراء الخير أو الشر، وذلك بغرض توحيد أركان القصّة وأحداثها.

أمّا رولان بارت فنجده يعرفها: [ بأنّها " نتاج عمل تأليفي" كان يقصد أنّ هويتها موزعة في النص عبر الأوصاف والخصائص التي تستند إلى اسم " علم " يتكرر ظهوره في الحكي ]. [3] أي

---

[1] _ فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيّات الروائية، تر: سعيد بنكراد، ط1، دار الحوار، اللاّذقية، سورية، 2013، ص 38.

[2] _ المرجع نفسه، ص 51.

[3] _ حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991، ص 50-51.

أنّ لكل شخصيّة ينسجها المبدع دورًا وظهورًا قليلاً أو كثيرًا، حاملةً اسمًا يميزها عن غيرها من الشخصيّات.

كما يرى _ رولان بارت _ أن الشخصيّة الروائية ليست بواقعية إنّما ظهورها للعلن _ القراء_ بفضل خيال الكاتب المختلف والمتميّز فهي لا تعدوا مجرّد كونها شخصيّات من ورق.

## 2_ أنواع الشخصيّة:

ما يميّز القصّة بأنواعها عن باقي الأنواع الأدبية، محورها الأساس وركيزتها _ الشخصيّة _ والتي تسمح للقصة بالدوران في حلقة ملؤُها الأحداث الشيقة، وتمتاز بتعدد أنواعها باختلاف تأثيرها في مبنى الحكاية كما أنّ هناك اختلافًا في تصنيف الأنواع، فجزءٌ يصنّفها حسب ادوارها وأهميتها وجزءُ أخر يصنّفها حسب حركيتها داخل الرواية.

### 2_1_ من الناحية التي تصفها حسب أدوارها:

#### أ_ الشخصيّة الرئيسية:

ركيزة القصة والمساهم في إدارة عجلة أحداثها، يكون محور الحديث الأساسي والمتكرر بشكل طولي في أركان القصة [ تلك الشخصيّة الرئيسيّة في أيّ سرد قصصي، مسرحيًا كان أم روائيًا، وقد يكون هو البطل أو غير البطل ما دام هو المحور الرئيسي لأحداث السرد] . [1] فالشائع هو أن يكون البطل دائما شخصًا خيّرًا ساعيا لإنقاذ زمام الأمور لكن ذلك ليس دقيقا إذ أنّه يمكن للشخصيّة الرئيسية _ وإن كان نادرًا _ أن لا تكون مثالية بل غارقة في أخطائها أو حتى ذات

[1] _ مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 208.

أفكار وأفعال شريرة وغالبا ما تتبنّى الشخصيّة الرئيسية فكرة تسعى لتحقيقها، مؤثرة بهذا السعي في الشخصيّات الأخرى التي ما هي إلاّ وليدة انبثقت من الشخصيّات الأساسية ويُولّي سارد الرواية أغلب اهتمامه للشخصيّة الرئيسية. [ الشخصيّات الرئيسية هي التي تستأثر باهتمام السارد حيث يخصُّها دون غيرها من الشخصيّات الأخرى بقدر من التميّز، حيث يمنحها حضورًا طاغيًا، وتحظى بمكانة متفوقة هذا الإهتمام يجعلها في مركز اهتمام الشخصيّات الأخرى وليس السارد فقط] .[1]

فدائما ما تعتمد الشخصيّات الأخرى على البطل لِفَكِ أزماتها ومشاكلها سعيًا للوصول إلى حلّ، فهو كالكوكب المنير الذي تهتدي به باقي الشخصيات إلى النّور، إلى الحقيقة.

## ب_ الشخصيّة الثانوية:

الساعد الأيمن وسند الشخصيّة الرئيسية، تساهم في إدارة عجلة الأحداث فتزيد من عقدتها ولهفة القارئ في فك هذه الأحداث، فهي قد جاءت لأجل جعل الأحداث تتخذ المجرى المناسب دون اختلالٍ فيها.

كما أنّ الشخصيّة الثانوية غالبا ما تأتي لتزيح الغطاء عن جوانب الشخصيّة الرئيسية المظلمة [ فهي تضيئ الجوانب الخفيّة أو المجهولة للشخصية الرئيسية، أو تكون أمينة سِرَّها فتُبيحُ لها بالأسرار التي يطّلع عليها القارئ ].[2] فهي الملاذ الآمن للبطل لحكي أسراره التي تحتويها

[1] _محمد بوعزة، تحليل النّص السردي تقنيات ومفاهيم، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، بيروت، 2010، ص 56.

[2] _ عبد القادر أبو شريفة، حسين لافي قزق: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ط4، دار الفكر، الأردن، عمان، 2008، ص 135.

الشخصيّة الثانوية وتحفظها، من خلال ذلك يجمع القارئ معلومات عن الشخصيّة الرئيسية ويفك جلّ غموضها.

وقد يحدث أن تُشكِّل هذه الشخصيّة حواجز للبطل، إذ ليس بالضرورة أن تكون كصديق فربما تكون عدوًّا حتّى، كما يقِلّ حضورها داخل المبنى الروائي عن الرئيسية وذلك لكي يستطيع القارئ التفريق بينهما فهي [ بصفة عامّة أقِل تعقيدًا وعمقًا من الشخصيّات الرئيسية وتُرسِمُ على نحوٍ سطحيّ، حيث لا تحظى باهتمام السارد في شكل بناءها السردي، وغالبا ما تُقدّم جانبًا واحدًا من جوانب التجربة الإنسانية] . [1]

## 2_2_من الناحية التي تُصنّفها حسب الأحداث:

### أ_ الشخصيّة المسطّحة:

لا يشوبها تغيير في مسار الرواية، تبقى ذات شكل واحد إلى غاية انتهاء الرواية، يفتقد هذا النوع من الشخصيّات لعنصر المفاجأة إذ له فكر وسلوك واحد، كما أنّ تغيُّر الأحداث والصراعات الحاصلة داخل الرواية لا يؤثر فيها [ ويُسمِّيها بعضهم الثابتة، أو الجامدة أو الجاهزة أو النمطية، وكلّها تفيد كون الشخصية لا تتطور و لا تتغير نتيجة الأحداث، وإنّما تبقى ذات سلوك أو فكر واحد أو ذات مشاعر وتصرفات واحدة] . [2] وما يستطيع القارئ ملامسته من تغيُّر لا يعدو أن

[1] _ محمد بوعزة: تحليل النص السردي، ص 57.

[2] _ عبد القادر أبو شريفة، حسين لافي قزق: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص 134.

يكون تغيُّرًا في علاقة الشخصية المسطحة بغيرها [ وإنّما يحدُث التغيُّر في علاقاتها بالشخصيّات الأخرى فحسب ] . [1]

وكون هذه الشخصيّات لا تتغيّر فهذا لا يعني بأنّ دورها خامد في المبنى الحكائي إنّما لها الدور الفاعل في التأثير بالشخصيّات الأخرى وسلوكياتها، إذًا فإنّ القارئ لا يواجه صعوبات أو ألغازًا تتمحور حولها لفكّها، فهي منيرةٌ واضحة مذْ بداية الرواية لأنّها في أساسها بسيطة التركيب غير معقدة

## ب_ الشخصيّة النّامية:

التي تمُرّ بعدة تغيرات وتطورات منذ بداية الرواية وصولاً إلى نهايتها، فلا يتوقف هذا التغيُّر إلا بنهاية الرواية. وقد تكون شخصيّات ذات طابع شرير أو خيّر يهبّ لمساعدة الناس ويكون ركيزة ومحورًا للرواية.

شخصيّةٌ مبهمة لا تُتَوقّع أفعالها ولا حركاتها فهي مثار القارئ ومحور اهتمامه، حيث يبحث عن مفاتيحها واحدًا تلو الآخر لفك صندوق غموضها [ فهي تلك المركبة المعقدة التي لا تستقرُّ على حال، ولا تصطلي لها نار، ولا يستطيع المُتلقّي أن يعرف مسبقًا ماذا سيؤول إليه أمرها، لأنها متغيّرة الأحوال، ومتبدّلة الأطوار، فهي في كُلّ موقفٍ على شأن]. [2]

[1] _ عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه دراسة ونقد، ط 9، دار الفكر العربي، القاهرة، 2013، ص 108.

[2] _ عبد الملك مرتاض: في نظريّة الرواية، ص 89.

إنّ للأحداث الدّور الأول في تغيير هذا النوع من الشخصيات [ تأخذ بالنّمو والتطّور والتغيّر إيجابًا وسلبًا حسب الأحداث] [1]، كما انها لا تتأثر لوحدها إنّما تؤثر في كل من حولها من جميع النواحي، فهي بمثابة ناقل للطاقة في جنبات الرواية وأركانها.

## ج_ الشخصيّة الهامشيّة:

وهي الشخصيّات العابرة النادرة الظهور، فالرواية بمثابة جسر تعبرهُ هذه الشخصيّات، فلا تؤثر في الحدث وتصاعده ولا في الشخصيّة النامية، حتى أنّها لا ترتبط بالبطل في كثير من الأحيان [ إنّهم جميعا رغم اختلاف مستواهم الاجتماعي والوظيفي في الرواية شخصياتٌ ليس لهم ملامح غير أسمائهم أو غير وظائفهم ... فلا يوجد وصف مستفيض لجميع هذه الشخصيّات وليس ثمة علاقة حميمة ومتطوّرة بينهم وبين السّارد] . [2]

مهما اختلفت تصنيفات الشخصيّة حسب الأدوار أو الأحداث فاللّب والجوهر هو اتحادها وتواجدها ليكمل بعضها الآخر فلا يمكن أن تكون رواية دون غياب أحد الشخصيّتين الرئيسية والثانوية، النّامية أو المسطحة، حتّى المهمّشة اللمسة الخاطفة للروائي، والتي تشعر القارئ أنّه يجول بداخل الحياة الواقعية، لأن تلك الشخصيّات المهمشة كالأشخاص العابرة التي لا نعرفها [ بل كثيرًا ما تتوهج الشخصية المدوّرة، أو ما يعادلها في الاصطلاح ( النامية، الإيجابية)، بفضل هذا

[1] _ عبد القادر أبو شريفة، حسين لافي قزق: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص 135.

[2] _ خليل بروييني: بناء الشخصيّة في رواية نجمة أغسطس لصنع الله إبراهيم، إضاءات نقدية، العدد 14، إيران، 2014، ص 63.

الضرب من الشخصيّات كما لا يمكن أن تكون الشخصية المركزية في العمل الروائي إلا بفضل الشخصيات الثانوية التي ما كان لها لتكون، هي أيضًا، لولا الشخصيات العديمة الاعتبار] . [1]

إذًا فالكل في المبنى الروائي، ولا يمكن فصل أي عنصرلا عن الآخر لأن ذلك لا يحدث سوى خللاً في بناء الرواية لأنّها وفي آخر المطاف عبارة عن أجزاء يُكمّل بعضها الآخر.

## 3_ أبعاد الشخصيّة:

ابعاد الشخصيّات هي الرّوح التي يهبُها الروائيّ لشخصيّاته من خلال تجسيدها وتشكيلها جسمانيا ونفسيا، وتركها تجوب صراعات مع ذاتها أو مع غيرها من الشخصيّات وكذا نظرتها ناحية بعضها البعض، إنّها _ أبعاد الشخصيّة _ بمثابة لوحة أدبية فنية يُحركُ الروائي فرشاتها كيفما شاء.

### 3_1_ البعد الفيزيائي ( الجسماني):

شكلُ الشخصيّة الخارجيُّ من طولٍ أو قصر، نحافة أو بدانة [ تتعلق بالمظاهر الخارجيّة للشخصيّة ( القامة، لون الشعر، العينان، الوجه، العمر، اللّباس) ... ].[2]

هذه المُواصفات لا تقتصر على وصف الجسم فقط إنّما تتعدّى ذلك إلى وصفٍ للباس الشخصيّة وغيرها، فالراوي هو المصوِّرُ الذي يتفنّن في إظهار شخصيّاته على ورق ينتظره القراء بكل لهفة وشوق، لأنّهم _ القراء _ يجدون في التصوير الجسماني مساعدا على إظهار كل شخصية بشكل معين في خيالاتهم.

---

[1] _ عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، ص 89.

[2] _ محمد بوعزة: تحليل النص السردي، ص 40.

ولا يتعلق الأمر بمتعة القارئ فحسب في هذا البعد إنما [ يُساعد القارئ على التعرُّف على الجوانب الأخرى، فغالبا ما يكتشف المتلقي المكانة الاجتماعية للشخصية من خلال ملابسها، وكذلك فإنّ حركات رجل بدين تختلف تماما عن حركات رجل نحيف، وسلوك شخص دميم المنظر ربّما اختلف عن سلوك إنسان وسيم ]. [1] وهذا مشابه للواقع، بل صورةٌ عنه، لأنّ الروائي يستوحي أفكاره ويستقيها من الواقع الذي رآه وعايشه.

## 3_2_ البعد الاجتماعي:

يرتبط هذا البعد بالبعد الجسماني فهو مُكملٌ له، وفيه الحديث عن بيئة الشخصيات التي تعيش فيها ومستواها الثقافي، وكذا العادات والتقاليد، فشخصية ريفية تختلف كل الاختلاف عن التي تعيش في المدينة في اختلاف عاداتها.

كما تُوضّح فيه الصورة الاجتماعية للشخصيّة من خلال تداعيها في نظر غيرها أو مثاليتها. ويشمل البُعد تصويرًا للمركز الاجتماعي الذي تشغله الشخصيّة [ تتعلّق بمعلومات حول وضع الشخصية الاجتماعي وإيديولوجيتها وعلاقاتها الاجتماعية ] . [2]

ويتمُّ تصوير الصّراع المُجتمعي في أركان الرواية، إنّه إسقاط للواقع وهذه مهمة الأدب إذ هو [ يجب أن يُسخَّرَ لتحليل الأوضاع الاجتماعية والمشاكل الإنسانية، وإظهار فساد المُجتمع حينًا، والإيحاء بالتمّرد والثورة حينًا آخر ]. [3]

---

[1] _ علي عبد الرحمان فتاح، تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل، مجلة كليّة الآداب، العدد 102، قسم: اللغة العربيّة، العراق، ص 50.

[2] _ محمد بوعزة: تحليل النص السردي، ص 40.

[3] _ علي عبد الرحمان فتاح، تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل، ص 51.

فهذا البعد يتعدّى تصوير بيئة وثقافة الشخصيّة، إلى محاولة من الكاتب إظهار ما يُعانيه المجتمع بإسقاطه الأدوار على شخصياته، مُحاوِلاً منه البحث عن حلول لإنهاء الأزمة.

فالبعد الاجتماعي عميق المجتمع وحالاته وسير الشخصيات في جنباته.

## 3_3_ البعد النّفسي:

ما يختلج أنفُس الشخصيات من عواطف ومشاكل نفسيّة تظهر لأسباب مختلفة، وللبعد الاجتماعي علاقة بهذا البعد إذ أنّه يُساهم _ البعد الاجتماعي _ في تغيير نفسية الشخصيات وتقلباتها، وذلك تزامُنا مع التغيُّر المستمر الذي يحصل في المجتمع.

كما أنّ الشخصيات _ وذلك ما ذكرناه آنفا _ إسقاطٌ للواقع، فالروائيُّ يُحاول أنّ يُبرز المشاكل النفسية التي تعتري الفرد بأسلوب أدبيٍّ مغلفٍ بالخيال [ ولكنّه لا يُفضي بكلّ شيء، فلا يصحّ أن يذكر تفصيلات الحياة اليومية إذا كانت لا تمُتُّ بصلة إلى فكرة القصة ولا تدُلّ على الحال النفسية لأشخاصه ]. [1] لأنّه وإنّ فعل سيصبح عمله كالتقرير الخالي من أي جماليّة وغموض باستثناء اللّغة. لأنّها _ الرواية _ تصبح خالية من عنصر المفاجأة الذي ينتظره القراء، إنّ عديدًا من المبدعين يسعون لإظهار عنصر الغموض النفسي للشخصيات، فهم يُركزون في جعل بعض الشخصيات غامضة والتي ترتبط بالحالة النفسية للشخصية.

[1] _ محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ص528.

كما أنّ هذا البعد يسعى لإبراز [ الحالة النفسية والذهنية للشخصية، وتحدّد مدى تأثير الغرائز في سلوك هذه الشخصيات من انفعال أو هدوء، من حب أو كره، من روح الانتقام أو التسامح، هل هي شخصية اجتماعية أو إنطوائيّة، مُعقدة أو خالية من العقد، متفائلة أو متشائمة].[1]

وفي الأخير فإنّ هذه الأبعاد تُكمّل بعضها بعضا، فالبعد الجسماني غطاء الشخصية الخارجيُّ، أما الداخليُّ فهو البعد النفسي، المعترك لخبايا الشخصية ودوافعها وسلوكياتها، أمّا الاجتماعي فهو بمثابة الوعاء المُحتضِن للشخصية أو الرافض لها.

## المبحث الثاني: علاقة الشخصيّة بالتقنيات السّرديّة الأخرى (الحدث، المكان):

اكتفينا فيما سبق وصف الشخصية وأنواعها وأبعادها مبعدين أي عناصر سردية أخرى، والآن سنسعى لنكشف سرّ صمود الشخصيات بالمتن الحكائي، وهل يُمكن صمودها بدون المكونات السردية الأخرى؟ بدون شكٍ لا، صحيح أنّ للشخصية أهميةً كبرى في بناء الرواية وأنّها الدعامة الأولى لكنها لن تصمد أو حتى لا تكون دون باقي المكونات.

فالشخصية تُكمل طريقها عبر الجسر الزمني الذي قد يكون مبعثرًا _ أي الفلاش باك _، أو مستقيما، وذلك في حيّز مكاني يختلف عبر الانتقال المتدرج بين الصفحات، فها هي الشخصية في المقهى ثمّ البيت مثلا وهكذا، وفجأة يُحدِثُ الروائيُّ الصدع الذي هو عنصر المفاجأة، الحدث الذي يستدعي من الشخصيات الخوض فيه، أو التأقلم معه، وفي ما يلي سنذكر العلاقة بينهم والشخصيّة على حدى.

[1] _ علي عبد الرحمان فتاح، تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل، ص 50.

## 1_ مفهوم الحدث:

هو المحور الذي تدور حوله الرواية، موضوعُها، ويختلف في تحرّكه داخل الرواية، فقد يكون حدثًا عاديا يتحوّل إلى مثير بعد ذلك وهو [ الذي يبعث في النفس شعورًا قويًّا أو إقبالاً شديدًا]. [1]

وما ينظّم هذه الأحداث هي حبكة الكاتب، أي ترتيبه لخيوط الرواية [ فهي تسلسل الحوادث الذي يؤدي إلى نتيجة في القصّة ]. [2]

## 1_1_ علاقة الشخصية بالحدث الروائيّ:

الحدث الروائيّ هو الواقعة أو الوقائع التي تُحدِث تغيُّرًا في الرواية أو بالأحرى شخصياتها، ومن الممكن أن يكون الحدث جيّدًا مُبهجًا للشخصية، أو أنْ يحمل من الفجائع والأوجاع ما لا يمكن للشخصيات تحمله، فالحدث بتطوراته [ هو الذي يبعث في القصّة القوّة والحركة والنشاط، وهو العصا السحريّة، التي تُحرّك الشخصيات على صفحات القصّة، وتسوق الحوادث، الواحدة تلو الأخرى، حتى تؤدي إلى تلك النتيجة المُريحة المقنعة، التي تطمئنّ إليها نفس القارئ بعد طول التجوال ]. [3] فالقارئ يُحبُّ الأحداث الغير متوقّعة، مُبهمة النهاية، فهي _ الأحداث _ مفتاح لهفته وآداة صبره على إكمال صفحات الرواية التي تُقلَبُ الأحداث فيها بين الصفحة والأخرى.

غير أنّه يمكننا رؤية اختلاف كبير من ناحية اهتمام الروائي بعنصريّ الحدث والشخصية، فهناك من يميل ناحية الشخصيّة، يعتني بها وبتفاصيلها ليُظهرها على أكمل وجه وهناك من يميل

---

[1] _ مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية، ص 145.

[2] _ المرجع نفسه، ص 144.

[3] _ محمد يوسف نجم: فن القصّة، ص 26.

ناحية الحدث أكثر منه للشخصية لكن ذلك لا يُؤثر على الرواية بحد ذاتها [ فكلّ ما في الأمر أنّ كاتبًا يولّي الشخصية اهتمامًا أكبر، وآخر يهتم بالحادثة، ولكنّ القصة ذاتها لا يُمكن أن تخلو خلوًا تامًّا سواء من الشخصية أو الحادثة]. [1]

وما يُهمُّ هو براعة الروائي في النهل من الواقع ومزجه بالخيال ليُظهِرَ لنا الأحداث في حُلّتها النهائيّة [ كما أنّه لا يُشترط في الكاتب أنّ ينقُل وقائع مُصوّرة من الحياة اليوميّة، وإنّما يستمدُّ مادّته لبناء أحداث قصته من كلّ ما يقع تحت سمعه وبصره بما لديه من قُدرة على لقط الظواهر وتصويرها، دون أنْ يتقيّد بالأحداث الحقيقية التي سمعها أو رآها، وإنّما يزيد فيها أو يُنقِصُ منها منتخبًا ما يراه صالحًا لبناء قصته وفق المنطق] .[2]

فهو أخذٌ من الواقع، مُبدّلٌ فيه حسب حاجته ورغبته، إذ أنّ الأخذ الكليّ من الواقع وسرد الأحداث اليومية الرتيبة يُصيّرُ الرواية تقريرًا لا سردًا ذا حماسة.

أمرٌ أكيد أنّ الشخصية هي السّبب في وُجود الحدث، فلولا وجودها لا يمكن للحدث أنّ يكون، لكنّ ذلك لا ينفي أهميته فهو المُحرِّك الأساسُ في تغيّر الشخصية وطبائعها والمُظهر لصمودها وقوّتها في وجه الأحداث ومعنى ذلك ومآلُه أنّ كُلاًّ من الشخصية والحدث كيانٌ واحد لا يتم تفعيل أحدهما أو استخدامه دون اللجوء إلى الآخر فالعلاقة علاقة تكامل [ وبذلك من الخطأ الفصل أو التفرقة بين الشخصية وبين الحدث، لأنّ الحدث هو الشخصية وهي تعمل أو هو

[1] _ عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه دراسة ونقد، ص 108.

[2] _ عبد القادر أبو شريفة، حسين لافي قزق: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص 125.

الفاعل وهو يفعل. فلو أنّ الكاتب اقتصر على تصوير الفعل دون الفاعل لكانت قصته أقرب إلى الخبر المُجرّد منها إلى القصّة] . [1] فالحدث والشخصيّة كيانٌ واحد.

## 1_2_ علاقة الشخصيّة بالمكان:

الإطار الحاوي للشخصيات وموطئُ أقدامها وفق أيّام وأعوام من نسج الروائي، صحيحٌ أنّ الشخصية مُحرّكٌ ومنطلق للعناصر السردية الأخرى، ولكنّها بحاجة إلى عناصر تكملها وتوضحها كالمكان.

فهو وباقي المكونات السردية ينتمون إلى الحيّز نفسه والبؤرة نفسها، فهم يطفون في الفضاء الروائي.

فها هو معجم " لسان العرب " يذكر المكان ويصله بالفضاء الروائي [ فَضَا: الفضاءُ: المكان الواسع من الأرض، والفعل فضَا يفْضُو فُضُوًّا فهو فَاضٍ ] . [2]

وتتحرك الشخصيّات في عدّة أماكن تتغيّر وتختلف، ويكون لهذه الأخيرة التأثير الأكبر على الشخصيّة.

فإمّا تشتاق للمكان أو تنفُر منه، و [ المكان لا يظهر إلاّ من خلال وجهة نظر شخصيّة تعيش فيه أو تخرقه وليس لديه استقلال إزاء الشّخص الذي يندرج فيه ] .[3]

[1] _ رشاد رشدي: فن القصة القصيرة، مُلتزمة الطبع والنشر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 30.
[2] _ ابن منظور: لسان العرب، ج 10، ص 282.
[3] _ حسن بحراوي: بنية الشّكل الروائيّ، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990، ص 32.

فلا أهمية للمكان ولا الشخصيّة في اختفاء أحدهما عن الآخر، ويكون للمكان علاقة بنفسيّة الشخصيّة أيضا، فهو المُحرّك للشخصيّة، يدفعها للبوح بمشاعر تراكمت [ وينهض المكان بإنجاز هذه الوظيفة حين يُشكّل المكان وما فيه من حياةٍ وطبيعة عمل دافعًا للشخصيّة لكي تبوح بمشاعرها وما يجول في دواخلها ].[1]

ويُساعِدُ المكان الجديد الشخصيّة على إقامة علاقات جديدة وتكوين المعارف.

أمّا عن أنواع الأمكنة داخل مبنى الرواية فكثيرة، تختلف باختلاف الصّفحات وكذا اختلاف الأقلام والكتّاب، لكنّ أكثر الأمكنة المُتعارف عليها والمذكورة بكثرة نجد: المدرسة، المستشفى، البيت، وهي أماكن مُغلقة تُبقي الشخصيّة داخل إطار مُغلق، والشّارع والحيّ والأسواق وغيرها أماكن مفتوحة تُحيل الشخصيّة إلى عالمها الخارجيّ.

وما يُهمُّنا في هذا السّياق ليس عدّ الأماكن وإحصائها، إنّما علاقة هذه الأمكنة بالشخصيّات وكيفية تأثيرها عليها، فالبيت مثلاً له العلاقة الأهمُّ بالشخصية، فهو [ رُكنُنا في العالم، إنّه، كما قيل مِرَارًا، كونُنَا الأوّل، كونٌ حقيقيٌّ بكل ما للكلمة من معنى وإذا طالعنا بالفة فسيبدو أبأَسُ بيتٍ جميلاً ] .[2] ويعكس البيت الهدوء والطمأنينة على الشخصيّة في أغلب الروايات.

أمّا عن الأمكنة التي تُخمد الحياة القابعة في الشخصية وتُنهكُها سواء من ناحية الرُّوح أو الجسد السجن، وهل من مكان أشدّ سوادًا من سواده وحِلكتِه؟، حتّى إذا لُوِّن بأفتح الألوان فسيبقى قفصًا مانعًا للحريّة.

---

[1] _ عبد الغفّار الحسن محمّد: المكان والزمان والرؤية السرديّة في رواية فريج المرر لحامد النّاظر، ص 5.

[2] _ غاستون باشلار: جماليّات المكان، تر: غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعيّة للدّراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984، ص 36.

أمّا عن أكثر الأمكنة المفتوحة شُيوعًا نذكر " الحيّ " الذكريات التي تتجمّع يومًا بعد الآخر لتترسّب كُلّها في قلب الشخصيّة.

في النهاية ما يُمكن استنتاجه هو أنّ الشخصيّة مُحاطةٌ بحيّزٍ من حولها [ ثمّ إنّ الذي يخرج لا يخلو من أن يكون خروجه من حيّز ما، ومقصده إلى حيّز آخر، ففعله حركة، وحركته تجري في حيّز، وحيزه مظهر من مظاهر الفراغ والامتلاء، والإنجزار والإمتداد ] .[1]

كما أنّ الشخصيّة تختلف مشاعرها باختلاف الأمكنة ويُولّدُ الاختلاف المكانيُّ مشاعر مختلطة فيها الحنين والنّفور، الغضب والكره، وغيرها من المشاعر.

[1]_ عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، ص 124.

# الفصل الثاني:

# تمظهرات الشخصيّة في رواية _ خاوية _ لأيمن العتوم

## الفصل الثاني:

## تمظهرات الشخصيّة في رواية _خاوية _ لأيمن العتوم

**1_ أنواع الشخصيات في الرواية**

**1_1_ الشخصيات الرئيسية**

**1_2_ الشخصيات الثانوية**

**1_3_ الشخصيّات الثابتة**

**1_4_ الشخصيات النّامية**

**1_5_ شخصيّات الهامشيّة**

**2_ أبعاد الشخصيات الروائيّة**

**2_1_ الابعاد الجسمانيّة للشخصيّات**

**2_2_ الأبعاد الاجتماعية للشخصيّات**

**2_3_ الأبعاد النفسيّة للشخصيّات**

**3_ علاقة الشخصيّات بالتّقنيتين السّرديّتين ( الحدث/ المكان)**

**3_1_ علاقة الشخصيّات بالحدث داخل الرّواية**

**3_2_علاقة الشخصيات بالأمكنة داخل الرواية**

## 1/ انواع الشخصيات في الرواية:

### 1_1_ الشخصيات الرئيسية:

اختلفت الشخصيات، تنوّعت وشهدت ثراءًا، كانت طريقة بناءها المحكمة هي ما يشُدّ القارئ ويأسره، فهي تكاد تشابه الشخوص الحقيقيين: « والأشخاص في القصّة، وفي المسرحية كذلك، مصدرهم الواقع ولكنّهم يختلفون عمّن نألفهم أو نراهم عادة، في أنّهم في ضوء العرض الفنيّ أوضح جانبًا وسلوكهم معلّل في دوافعه العامّة ». [1]

أي يتحركون كلٌّ حسب دوره في القصة، وتكون لهم مساهمات كبيرة في بناء الرواية، أولهم الشّخصية الرئيسية.

**_ جلال:**

فجلالٌ زوج لسلوى، له منصب عالٍ في وزارة الصحة إذ هو أحد أطقمها، البطل الذي يهب لمساعدة الناس، فهو ببعثاته إلى البلدان يُسِندُ هذا ويُطبطب على ذاك ويُزيلُ جراحه وآلامه، ذهب إلى أنغولا أولاٍ بسبب المالاريا « لديهم طفيليات تُدعى المثقبيّات تُسّبب مرضًا قاتلا لا يكاد ينجو منه أحد، إنّه مرض النوم، سببه ذبابة (تسي تسي) ». [2]

[1] _ محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص 526.

[2] _أيمن العتوم: خاوية، دار المعرفة، ط10، مصر، 2016، ص 61.

لم يكن جلال يساعد البعيد فقط أو بغرض المال قطّ، فإحساسه الإنسانيّ المُرهف هو النّسمة التي تدفعه برفقٍ لمساعدة أصدقاء وجيران له دون مقابل، فقد ساعد زوج جارتهم إنصاف « دخل في حالة اكتئاب، حاول جلال أن يُخرجه منها بالطّب العضوي، وبالطّب النفسي». [1]

في بعثته الأخيرة إلى مخيّمات الأردن التي تحمل بداخلها لاجئين عانوا من الأهوال ما يعلمه الله فقط، آلمه ما رآى، تكفّل بليلاس التي أثرت فيه كثيرًا « ساهتمُّ بها كابنتي تمامًا، لا تخافي عليها سأُشرف على علاجها بنفسي ». [2] فهو أخذها بعدما أثّرت فيه حالتُها الحرجة، بسبب الحروق التي أصيبت بها جراء الحرب.

**_ سلوى:**

صحيح أنّها شخصيّة مزاجيّة وعصبيّة، إلاّ أنّ دورها كان شديد الأهمية بالنسبة لشخصيات أخرى كزوجها وابنها بدر، كانت لهم كاسمها تمامًا « العسل كُلُّ ما يُسلّيك ويكشف الهمّ عنك». [3] هي البهجة والدعامة الأساسية لأركان بيتهم.

كان أشدُّ ما يُسعدها أيّما إسعاد رؤية ابنها فرحًا « نصف ابتسامة كانت كافية لتُنهي غضبها، وتُعيد إليها التفاؤل ثانية »[4] فبدرٌ حياتها وابنها الوحيد، ساهمت في احتوائه ومساندته بسبب توحُّده « بدات منذ ذلك اليوم تؤسِّس لمعجم لغوي جديد خاص بطفلها التوحديّ، وكُلّما

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 105.
[2] _ المصدر نفسه، ص 319.
[3] _ وليد ناصيف: الأسماء ومعانيها، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق، 1997، ص 253.
[4] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 109.

أضافت إلى القاموس كلمة جديدة أو إشارة جديدة فرحت كأنّها انتصرت في معركة طويلة». [1] فهي أكثر العارفين لأحواله وأوّل الفرحين لفرحه وتقدّمه في درب الحياة الشائك.

أمّا علاقتها بجلال فكانت في تأرجح دائم، تُنكِر الكثير من فضله عليها وحبّه الشديد لها في لحظة غضب « كذّاب ... ذهبت تستمتع مع أصدقائك وتركتني وحدي »،[2] هو مستعدٌّ للذّهاب مخاطرًا بحياته في رحلة لأنغولا ليُنقذ أرواحًا وهي لا تُفكّر سوى بتكذيبه!

**_ بدر:**

لعب دورًا كبيرًا في الرواية، رُغم كونه مصابًا بالتوحد، فهو في المقام الأوّل أسعد والديه بقدومه للحياة « أمسكته بين يديها بلهفة، وفيما كانت شفتاها ترتجفان من السُرور والشكر، كانت دمعتان ساخنتان واحدة تسبق الأخرى تسيلان من عينيها».[3]

قرّرت سلوى تسميته ببدر وكان اسمًا على مسمّى فهو « القمر في تمامه ». [4] لكنّ تصرفاته اتّسمت بالغرابة، كان لا يتكلّم « كفُّه مثل شراع أفقيّ لقارب يغرق، راح يرفرف بأصابعها في حركة منتظمة، مثلما ترفرف الطيور بأجنحتها وهي تهمّ بالهبوط ». [5]

ويتّصف الشّخص المصاب بالتوحّد « بعزوفه عن العالم الخارجيّ وعيشه في عالمه وأخيلته ومشاعره ومثله العليا الخاصّة به وهو متردّد وخجول وحساس ويتميّز بقلة النّشاط وعدم الثّقة بما

---

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 115.

[2] _ المصدر نفسه، ص 41.

[3] _ المصدر نفسه، ص 66.

[4] _ وليد ناصيف: الأسماء ومعانيها، ص 34.

[5] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 81.

يُحيط به». [1] لكنّ فرشاة رسمه كانت بديلاً نابَ عن لسانه، أبدع في وصفه بما عجزت عنه الألسنة « لقد استعاض عن لسانه بيده، الحروف التي يقولها عبر الفرشاة تبدو واضحة معبّرة». [2]

فرح كثيرًا عندما قدِمَت ليلاس للعيش بجوار بيتهم، كانا يُعانيان، ظهر فرحه بقدومها من خلال رسمه لها على الجدار « كان قد رسمها على الحائط بحجمها الحقيقي، ولو وقفت ليلاس بتلك الهيئة أمام الحائط لما استطعت أنّ تُفرّقَ بين اللّوحة والإنسان ». [3] ليوثّق بذلك لحظةً من أسعد وأحزن اللحظات، أوّل نظرة، تركها لتُحفر عميقًا في الجدار وفي النفوس.

## 1_2_ الشخصيات الثانوية:

### _ شادي:

المسؤول عن عائلته بعد وفاة والده، ترك المدرسة من أجل البقاء وخلافة متجر والده، للمخللات، كان زياد صديقه أيّام الاعداديّة، شخصيّة اتّسمت بالطيّبة وتهدئة الصراعات والخلافات « حيث أنّه ينعكس كالنّور الوضّاء من العيون وألق غريب عذب ومتدّفق كماء النهر مدى الحياة». [4] فهو كذلك بالنسبة لعائلته أوّلاً، ولزملاء معسكره باستثناء زياد ثانيًا.

كان يُحبّ لوطنه أن يُحرّر، لكن لم يُعرف فيما بعد إذا تابع الكفاح، وذلك بعدما شاهد موت أفراد معسكره الواحد تلو الآخر « ركض شادي نحوهما، كان الأوّل قد انشطر نصفين، لم يلحق إلا

[1] _ كارل ألبرت: أنماط الشخصيّة أسرار وخفايا، تر: حسين حمزة، دار كنوز المعرفة، ط1، عمان، 2013، ص 75.

[2] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 122.

[3] _ المصدر نفسه، ص 330.

[4] _ كارل ألبرت، أنماط الشخصيّة، ص 68.

بنصفه الثاني، سجّى عينيه، وعاد إلى المصاب الثّاني، كان ينطق الشّهادتين، تركه يُتمُّهُما ثُم أسبل عينيه». [1] فهو عانى فقد أسرته في البداية ثمّ أعيد نفس المشهد أمام عينيه بفقدانه لزملائه.

**_ ليث:**

كان له دور هامّ في النّضال من أجل سوريا ضدّ النظام، لكن قبل ذلك كان صديقًا لزياد أيّام الدراسة، مُجدٌّ فيها، تميزت شخصيّته بالشّجاعة ورفض الظّلم كاسمه تماما فاسمه « يعني الأسد، والقوّة، الشدّة، وعلى المجاز كلّ من له نفس الصّفات مثل الشجاع، يقال زيد أليثُ أصحابه بمعنى أشجعهم ». [2]

دائمُ الشجار مع زياد بعدما جمعهم نفس المعسكر جسديًّا فقط، لأنّ حلم ليث كان حقيقيًّا، فهو أراد الحرية لسوريّة وآلمه السّبب السخيف لانضمام زياد إلى المعسكر. « ردّ عليه زياد بسخرية أمَرّ: « تحرير سوريّة !!! سنُحّررها للأشباح الذين ظلّوا يطوفون بين حواريها المهدّمة ... عن أي تحرير تتحدّث ...عن أيّ سورية تتحدّث ...!!! » ردّ عليه ليث مغضبًا: « ولماذا جئت الى هنا إذًا؟!». [3]

رغم ذلك كان يهتمّ لأمره حقًّا، أراده أن يرجع إلى صوابه، ان يكونَ هدفُه هدَفَهُمَا، فهم كيان واحدٌ داخل هذا المعسكر.

---

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 233.

[2] _ موقع: معاني الأسماء: meaningnames. net

[3] _ الرواية، ص 196.

حتى بعد خيانة زيادٍ لهم سأل القائد عنه: « وماذا عن زياد؟!». فردّ عليه أبو دُجانة: « ماذا عنه؟!». « إذا قابلناه في معركة ما». « اقتله دون تردّد». « كيف؟!». [1] فرغم الطعنة التي تلقّاها جراء خيانة زياد إلاّ أنّه لا يزال صديقًا له، يؤلمه ما آل إليه.

## _ أبو دجانة:

شخصيّة اتّسمت بالصّبر والتحمّل، كان قائدًا للمعسكر الذي انظم زيادٌ وأصدقاءه له، حارب هو ومجموعته النظام الظّالم، وسعى للسيطرة على المناطق التابعة للعدوّ بهدف الانتصار. «وصاحب هذه الشخصيّة يتّصف بسرعة البديهة، مثقّف بلا حدود، ومن أبرز صفاته التحدّي، التغيّر، التجدّد الدائم، وله ثقة عالية بالنّفس وقدرة خارقة على الإقناع. وقد يكون إنسان طيب وخير يفيد المجتمع». [2]

فهو لم يقسُ على مجموعته، يُحاورهم ويشرح لهم الأوضاع « حيّا الله الشباب ... أودّ أن أُعرّفكم على طبيعة المعركة، وآخر ما حقّقناه، والأماكن التابعة لسيطرتنا، والأماكن التابعة لسيطرتهم». [3]

أولى اهتمامًا كبيرًا بحياة رفقاءه في الكفاح أكثر من اهتمامه بحياته « يا شباب فيه حدا تأذّى ... فيه إصابات؟!». [4]

---

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 226.

[2] _ كارل ألبرت، أنماط الشخصيّة، ص 67.

[3] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 201–202.

[4] _ المصدر نفسه، ص 202.

فارقت رُوحه الجسد بعدما خانهم أبو القعقاع ولم ينظم معهم في مهاجمة " حاجز الزعلانة " التابع للنظام. « حين فكّر كيف سيتعامل مع أبي القعقاع بعد انتهاء هذه المعركة، جاءته رصاصة في الرأس فسقط مضرّجًا بدمائه ». [1] كان في الصفوف الأولى للمستشهدين في معسكره، قدّم الكثير من أجل عودة السلام.

**_ سميرة**

زوجة خال ليلاس، أصبحت بمثابة الأمّ لها بعد انفجار السيارة بصاروخ « عاملتها كابنتي تمامًا وأكثر، لم نكن قد رُزقنا أطفالاً أنا وزوجي، وحين فقدت هي أمّها، وفقدتُ أنا زوجي، هربت كُل واحدة منّا إلى الأخرى».[2] عانت من فراغٍ بحياتها، إثر موت الشخص الوحيد الذي أنارها، هذا ما أدّى بها لمحاولة سد هذا الفراغ. « الكثير من النّاس يعانون من نقص أو آخر في كيان شخصيّتهم، وقد يستطيع الكثيرون منهم التقليل من مظاهر النقص وشعورهم بوجوده عن طريق التعويض بصورة ما عن توفّر مثل هذا النّقص».[3] وقد نجحت سميرة في ذلك فعاملت ليلاس كالإبنة التي لم تحض بها.

كانت علاقتها مع جارتها سلوى غير مستقرّة، بل أنّها انعدمت تمامًا بعد غيرة سلوى منها وشكّها بأنّها تُغوي زوجها « تظنّين أنّه بغمزتين سيسقط في حضنك، إنّه رجل وليس ولدًا يا قليلة

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 232.
[2] _ المصدر نفسه، ص 312.
[3] _ كارل ألبرت، أنماط الشخصيّة، ص 103.

الأصل» « اشبعي به يا عجوز» « أنا عجوز يا أمّ قرون؟!» « لو لم تكوني عجوزًا لما فكّر بسواك ».[1] لكنهما استطاعتا العيش في سلامٍ بعد ذلك من أجل إبنيهما، وسعادتهما.

## 1_3_ الشخصيّات الثابتة:

### _ إنصاف:

كانت كالأخت لسلوى وأعانتها كثيرًا، وذلك ردًّا لجميل جلال تجاه زوجها، أرادت أن تُغدِقَ بالحنان على كليهما " بدر وسلوى" فتكون الأخت والأم في نفس الوقت. « لا أريد من الحياة إلاّ أنّ أساعد في عمل الخير، وأقف إلى جانب من وقف إلى جانبنا ... اعتبريني مثل أختك، وسأكون لبدرٍ مثلما تكونين أنتِ له».[2]

لم تتغيّر إنصاف على طول المسار السردي للرّواية وظلّت على حبّها وفيّة فهي « تلك الشخصيّة البسيطة التي تمضي على حال، لا تكاد تتغيّر ولا تتبدّل في عواطفها ومواقفها وأطوار حياتها بعامّة ».[3]

فقد عاشت ما تبقى من حياتها لهدفٍ واحد أمامها وهو ردّ الإحسان بإحسان، حتّى لو لم يكن بالقدر الذي تلقّته وزوجها سابقًا.

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 335.
[2] _ المصدر نفسه، ص 106.
[3] _ عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، ص 89.

**_ والد زياد:**

تصرفاته واضحة وغير متغيّرة، نجّارٌ دَأَب على إعالة أُسرته الصغيرة وإسعادها « تتميّز هذه الشخصيّة بصفات أهمّها: الهدوء والتفاؤل والقدرة على التركيز، معتدل المزاج، لا يحب المبالغة واللّغو في أيّ جانب ». [1] فهو شديد الصّراحة، خصوصًا مع ابنه الذي كان دائبًا على جعله يوافق على زواجه من حنين، كان يُصحِبُ صراحته بالمزاح. « ثمّ إنّ الخُطّاب كثروا في الفترة الأخيرة». « كثرو ؟!». « قلت لي كثروا !! من يطلب أن يقترن بفتاة مثل خيط المصّيص... أم هل تُقنعني أنّ أباها مُحافظ أو وزير وأنا لا أدري ».[2]

اكتنف شخصّيته وعيٌ بما يجري بالأحداث السياسيّة أكثر من ابنه الذي لم يُلقِ لها بالاً « لقد تعدّد الذين يجلسون على الكرسيّ في زماننا هذا يا بُنيّ، كان لا يستحقّه إلا من يستحقّه، واليوم صار كلّ من هبّ ودبّ يجلس عليه !! ».[3]

كان شديد القرب من ابنه، حيث كان يقصده دائمًا في مشاكله اليوميّة « لا تقُل ذلك يا ولد ... لقد قاتلتنا جميعًا من أجلها، فلا تنهزم عند أوّل مواجهة مع صعوبات الحياة الحقيقية، امرأتك امرأة رائعة عليك أن تعرف كيف تتعامل معها». [4] فكان ناصحًا لإبنه عندما يراه مُحبطًا ومُخطئًا في أحيانٍ كثيرة، يُسنده في كل المراحل التي عاش فيها.

---

[1] _ محمد عياش الكبيسي: أنماط الشخصية وإشكالات القيادة والتربية في العمل الإسلامي المعاصر، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص 68.

[2] _ الرواية، ص 157.

[3] _ المصدر نفسه، ص 149.

[4] _ المصدر نفسه، ص 169.

**_ والدة زياد:**

كان ظهورها بالرواية أقل ظهُورًا من زوجها، جُلُّ حواراتها تكون مع ابنها حول حنين، ففي بداية زواجه نصحته. « لو أنّك تمنح زوجتك نصف ما تمنح لأختك المدللة من حب ورعاية واهتمام لربّما تغيرت حالها». [1]

رجت ابنها أنّ يبقى بعد رحيل أغلب أفراد العائلة، حتّى جدارها الحامي، زوجها قد تركها ت تُكابد أوجاعًا، لكنّ زيادًا كان الصّخر الحقيقي، لم يستجب لاستغاثة والدته، رجاءها، لم تُزحزح كلماتها صخرةً علت قلبه وأغشته. « لمن تتركني أنا واختك ». « لا ادري ... مسؤوليتي تجاهها أكبر من أيّ مسؤوليّة أخرى». « نحن أيتام، وأنا ضعيفة، وأختك تستيقض فزعة في الليل كلما تذكرت أصوات القصف، لمن ستتركنا وسط هذا العذاب؟!». [2] لكنّه تركها وذهب ليطارد مجرمًا غمضًا تسّبب بمقتل زوجته!.

**_ حنين:**

تميزت شخصيتها بالهدوء الشديد والخجل لأبسط المواقف، وإتّخذها زياد زوجةً له « ولو تأملنا في نمط هذه الشخصية الإنسانيّة " الإنطوائيّة introvent " لوجدنا أنّه يتحاشى الإتصال الاجتماعي ويميل برغبة عالية إلى الانعزال والوحدة ». [3] كلماتها محدودة في الرواية، وهذا ما يثير غضب زوجها أغلب الأحيان، لكنّ حبّهما لبعضهما ظهر عندما سلّط الموت عليهما أعينه وأوشك على أخذ حياتها. « كانت تسبح في الدماء، وجهها الحنطيُّ قد غطّته مسامير تفجّرت من بعض

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 170.
[2] _ المصدر نفسه، ص 192.
[3] _ كارل ألبرت، أنماط الشخصيّة، ص 76.

القنابل التي صاحبت القصف ... رأت جدارها إلحامي، زحفت باتّجاهه، كانت شظيّة أخرى قد دخلت إلى ظهرها فأصابتها بالشّلل الجزئي ». [1] لكنّ الموت كان أسرع من حبّهما، إذ ماتت حرقًا أمام زوجها. « انفجر المولّد، شبّت النار في المكان، وشاهدها تحترق هي وخالد طفلهما الذي كان في بطنها!! وابتدأت المأساة الحقيقيّة!! ». [2] ظلّ ذكرها مستمرًا على لسان زوجها بعد موتها، بغرض الانتقام لها.

**_ زملاء المعسكر:**

كانت رغبتهم واحدة، فقد أجمعوا على تحرير وطنهم من كيد الكائدين، هُم « شباب في عمر الورود، ترى فورة الحياة في عيونهم، وإن كان الحُزن قد أسدل على بريقها وشاحًا شفيفًا لا يُرى إلاّ إذا غُصت في سحابته ». [3]

كانوا منظمين إلى معسكر أبي دجانة والذي عاملهم جيدا، كرفيق كفاح، استُشهد أغلبهم «سَمِعا صوتَ أحدهما وهو يصرخ: « رجلي .... رجلي ... أمّا الثاني فقد تحوّل في لحظات إلى أشلاء تساقطت على مسافات متباعدة، إحدى رجليه علقت على شجرة تبعد عنهما عشرة أمتار ».[4] وذلك بعد خيانة أبي القعقاع لهم، كُلٌّ مات بطريقة أشدّ إيلامًا من الآخر.

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 190.
[2] _ المصدر نفسه، ص 191.
[3] _ المصدر نفسه، ص 195.
[4] _ المصدر نفسه، ص 233.

**_ أبو القعقاع:**

شخصيّة ثبتت على الشرّ والشيطنة برداء الملاك البريئ المنقذ، لهُ أحد المعسكرات وهو قائدها، يُخادع بقية المعسكرات ويُظهر نفسه مساعدًا لهم في قتالاتهم ضدّ النظام، لكنّه في الواقع لا يسعى إلاّ خلف الاستيلاء على الأراضي والثروات والنساء. « ازدهر سوق الجواري من بعد ما تمتّع به أبو القعقاع من نوعيّة المعروض عنده وتجدّده ».[1] كان شخصيّة عنيفة لا تعرف الرحمة، قال لزياد في حال لم يُطع أوامره . « أتعرف يا زياد ما معنى أن تنتفي تمامًا، معناه أنّ أذبحك بيديّ واتلذّذ بمنظر دمائك تسيل من رقبتك الطريّة على أصابعي ». [2] ويرجع انحطاطه في سلوكه إلى أنّ. « إرتباط العنف والسلوك العدواني بعقدة الدونيّة لدى الفرد الذي يُمارس هذا السلوك ويلجأ إليه بكل أشكاله، البسيطة منه والمتمثلة في الغيبة والنميمة والشّتم والسب امام المقابل وبغيابه، أو في صورته الشديدة مثل استخدام الإغتصاب ضدّ النساء أو استخدام الأيدي أو الأسلحة بكلّ انواعها، إنّما خلل واضح في الشخصيّة واضطراب مرضي لا خلاف عليه ». [3] وقد كان أبو القعقاع في الدرجة الأشدّ من العدوانيّة، والتي تؤثّر سلبًا على كل المنخرطين معه.

## 1_4_ الشخصيات النّامية:

**_ زياد:**

شخصيّة اتّسمت بشدّة تعقيدها، فلا يكاد القارئ يوشك على تفكيكها حتّى تفاجئه بتصرفات أخرى « مُعقدّة بكلّ الدلالات التي يوحي بها لفظ العُقدة، والتي تكره وتُحبّ، وتصعد وتهبط، وتؤمن

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 245.
[2] _ المصدر نفسه، ص 255.
[3] _ كارل ألبرت، أنماط الشخصيّة، ص 92.

وتكفر، وتفعل الخير كما تفعل الشرّ ». [1] وهذا ما يجب أنّ تكون عليه الشخصيّة النّامية فهي تنمو وتتغيّر وفق الظروف المحيطة بها، وتتطوّر وفق الأحداث.

وقد سلّط الروائي حبره عليه في القسم الثاني من الرواية شخصية رومانسية، فهو أحبّ حنينًا وانتظرها عشر سنوات ليظفر بها في النهاية، لكنّ حبّهما بُتِرَ في بدايته، فها هو الصّاروخ يشُقُّ بأضوائه المُعتمة فرحة العيد إلى أشلاء!. أراد باستماتة الانتقام لزوجته « أريد أن أنتقم لها ولابني الذي كان يمكن أن يكون بين ذراعيّ الآن لولا أنّ ... ». [2]

انتقل إلى المعسكر خصّيصًا لهذا الغرض « ولماذا جئت إلى هنا إذًا؟! ». « جئت لأنتقم». « تنتقم؟! ممّن؟! ». « وهو يمسح بكفّه على قبض البندقية، ويرفعها أمام عينيه: « من الذين قتلوا زوجتي ». [3] أيعُقل هذا التغيُّر الكبير في شخصيّة كان الأمل والرغبة في الحياة يحدوها؟ يمؤها ويغمرها؟!

لم يُعجبه المعسكر أبي دجانة الذي كان هدفه تحرير سوريّة، لم يجد هدفه هناك فانتقل إلى معسكر أبي القعقاع، وبانضمامه بأضوائه المُعتمة فرحة العيد إلى أشلاء! سوريا بدأت تُدمّر، مات كل معارفه باستثناء والدته وأخته ليلاس.

لكنّ ما جعله يتغيّر جذريا موت حنين [ أُريد أنّ أنتقم لها ولابني الذي كان يُمكن أنّ يكون بين ذراعيَّ الآن لولا أنّ ... ]. [4]

---

[1] _ عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، ص 89.

[2] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 193.

[3] _ المصدر نفسه، ص 196.

[4] _ المصدر نفسه، ص 193.

انضم إلى جبهة للقتال أو لنقُل معسكرًا، والتقى بأصدقاء طفولته هناك " شادي وليث"، ولكنّه لم يُعرهما أيّ اهتمام فهو هنا من اجل الثّأر لحبيبته لا من أجل تحرير سوريا مثلهما، إزدادت الخلافات معه وليثُ بسبب قصّة انتقامه الأنانية [ « ولماذا جئتَ إلى هنا إذًا؟! ». « جِئتُ لأنتقم». « تنتقم؟ مِمّن ؟! ». رد وهو يمسح بكفّه على قبض البندقيّة، ويرفعها أمام عينيه: « قتلوا زوجتي »]. [1] أيُعقل هذا التغيُّر الكبير في شخصية كان الأمل والرّغبة في الحياة يحدوها؟ يملؤُها ويغمرها ؟!

كان قائد مُعسكرهم يُكنّى بأبي دُجانة وكان مسؤولا عن تقسيمهم إلى فرق في مهمّات مختلفة ضدّ العدو، وقد تخلّى عنه القائد بعدما شتمه زياد بسبب استيلائهم على المطار التابع للنظام. [ أتعرف شيءًا آخر أيها القائد، انت لا تدري كم عائلة يُتّمت، أو رُمّلت، أو هُجّرت يوم انقضاضكم الأعمى على المطار ... ]. [2]

وبسبب ذلك انتقل إلى فصيل آخر، إلى من يُكنّي قائدهم بأبي القعقاع، وبانضمامه لهم سيكونون الفأس التي تُخرج شيطنة وشرّ زياد، كان من الأفضل له أن يبقى مع الفصيل الأوّل، مع أصدقاءه الذين كانوا يحلمون حقًا بالتحرر، لكن ما نفع ذلك الآن؟ ها هو ينسى أمر الانتقام تمامًا ويتغمس مع أبي القعقاع « قال وهو يضحك: « كانت تُحبني، لكنّها لم تقل لي ذلك، ليتها قالت، لكنّها فيما يبدو كانت صغيرة على أن تقول! الحُبّ سذاجة مراهقين في أوّل زواجهما». [3]

اغتصب زياد إحدى السجينات في المعسكر، أراد الاعتذار لكنّه لم يستطيع في آخر المطاف أراد وضع حدٍّ لحياته « هذه تليق بي أكثر، لم أكن يومًا شريفًا بالقدر الذي يُعينني على أن يكون

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 196.
[2] _ المصدر نفسه، ص 220.
[3] _ المصدر نفسه، ص 247.

القمر آخر ما أراه قبل أن أُودّع هذه الفانية». [1] قتل نفسه لما اقترفه من آثام، ولم يجد أنسب من كهفٍ مُعتم لفعل ذلك.

**_ ليلاس:**

أخت زياد الصغرى المحبوبة، وتميزت شخصيتها بالنّماء والتطوّر بسبب هول الأحداث والفجائع التي حُفِرَت عميقًا في سويداء قلبها وهي: « تلك التي تستطيع أن تكون واسطة، أو محور اهتمام، لجملة من الشخصيات الأخرى عبر العمل الروائي، فتكون ذات قدرة على التأثير، كما تكون ذات قابليّة للتأثر أيضًا ». [2]

إنّ زياد فضلها على الجميع وهي بدورها « لقد تعبت اليوم كثيرًا لابُدّ أنّك جائعة ». « أنا جائعة، ... هل ستعود إلى البيت؟! ». « ما رأيك؟ ماما ستقلق علينا! ». « لا أُريد أنّ أبقى هنا ... أُريد أن أبقى معك ».[3] لكنّ مشيئة الله فوق الجميع، اختلفت الأقدار ودارت عجلة الزمان، لتلقي بها وحيدة مع أمها بعدما ذهب أخوها منتقمًا.

بدأت مأساتها الحقيقية عند خروجها ووالدتها من الغوطة هربًا من عدم استقرار أحوالها إلى حمص، لكنّ الموت لا يعطي فرصة الانتظار، وقد جاء على شكل صاروخ شق السيارة التي استقلتها والدتها لتتحوّل إلى أشلاء بلمح البصر أمّا « ليلاس فسقطت إلى جانب السيارة الثانية

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 263.
[2] _ عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، ص 89.
[3] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 147.

التي كانت تحترق، كانت تأخذ غفوة بسيطة على جانبها الأيسر فوق بقعة من النّار على إلاسفلت المحفور». [1]

لكنّ المصائب حين تأتي في الحرب لا تتوقّف، فبعد تلك الحادثة انتقلت مع زوجة خالها إلى الغوطة ليعيشا هناك، فأتى خلائف الشياطين، إرهابٌ يقتل الأطفال، لم يجدوا ليلاس لكنّ أعينها وجَدَتهم، رأتهم وهم يذبحون براعمًا كان حلمهم اللعب كبقيّة الأطفال « ثّم بدأت المجزرة، صاروا يُصعدون كل طفل أو طفلة إلى بِكَب واقف في وسط الساحةٍ، وهناك مجرم من نوع شيطاني مَاحِق كان يحمِلُ سكينًا كبيرةً ». [2] هذا ما جعل ليلاس ولهولٍ ما رأت تُخفي السكّين الذي تجده تحت وسادتها خوفًا من قدومهم مرةً أخرى فشخصيتها الهادئة اختفت، أصابتها نوبة هلاوس.

## 1_5_ الشخصيّات الهامشيّة:

### _ زوج إنصاف:

كان أستاذًا للعلوم بالمدرسة المتوسّطة، مصابٌ بالسكري الذي قضى على حياته، وأذاقه آلامًا قبلها ففي البداية « قُطعت رجله اليمنى فاستعاض عنها بعكّاز ». [3] لكنّ ذلك لم يُثنه عن الشيء الذي يحبّه، فتابع المجيئ إلى المدرسة « بعد عامٍ واحد فقط من تلك الحادثة قال له الأطباء إنّهم سيُضطرون لقطع الساق الأخرى». [4]

---

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 310.

[2] _ المصدر نفسه، ص 314.

[3] _ المصدر نفسه، ص 103.

[4] _ المصدر نفسه، ص 104.

لكنّ شخصيّته اتّسمت بالصبر على الفجائع، فهو لم يهرب من الواقع إلى الخيال، إلى أحلام اليقظة فهي « الموقف الذي يقود صاحبه إلى الإنطواء على نفسه والتقوقع على ذاته شيئًا فشيئًا حتّى ينقطع عن الجميع تمامًا». [1] فزوجها كان يهرب من آلامه إلى أحب الأشياء عنده بالأخص بعدما لم يرزقا بالأطفال.

**_ أهل شادي:**

تم ذكرهم في الرواية بشكل قليل ومُتقطّع، أسرة ذاتُ سبع أفراد « أخواته الخمس وأمّه وأخوه الصغير الذي كان لا يتجاوز عمره سنة واحدة عند رحيل الأب ». [2]

ماتت أخواته كُلَّهنّ، ثلاثٌ في لحظة واحدة بسبب القصف « ثلاث من أخواته مُتن تحت الرّدم، خرجن جثثا بيضاء من غبار الردم والانهيارات، لم يتعرف عليهن إلا من خلال ملابسهنّ».[3] الإثنتان المتبقّيتان أمهلهما الموت قليلا من الوقت، وهل يساعد ذلك في لملمة الجراح؟ إنّه يزيدها ويفتحها أكثر فأكثر لتصيب القلب. « الرابعة ماتت في سيارة الإسعاف على الطريق». [4]

أمّا أخرهنّ أخزنهُنّ، رأت أخاها قبل موتها، مُغطّاةً بالدّماء « مدّت يدها المليئة بالأتربة ومسحت دموعه، وقالت له: « أشعر بالعطش، بِدّي مَيّ » كان الدم لا يزال يثعب من صدرها». [5] ماتت بعدها بثوانٍ تاركة اخاها يُجهش بكاءًا مريرًا.

---

[1] _ كارل ألبرت، أنماط الشخصيّة، ص 135.

[2] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 156.

[3] _ المصدر نفسه، ص 209.

[4] _ المصدر نفسه، ص 209.

[5] _ المصدر نفسه، ص 210.

**_ اللآجئون:**

لجئوا إلى مخيمات الأردن بعدما فَرُّوا هربًا من الحرب، لكُلٍّ منهم قصة وحكاية، عن كيف تولدّت فيهم الرغبة في الانتقام ممّن قتل عائلاتهم « عمري أربعة عشر عامًا مستعدّة انّ أعود من جديد إلى سوريّة وسط القنابل والتفجيرات على أنّ أُجبَر على الزواج من خمسينيّ ». [1] وفتى يُريد الانتقام ممّن قتلوا أباه « سانتقم ولو بعد خمسين عامًا، سأنتقم ولو انتهت الحرب، لقد ذبحوا أبي أمامي، لا أستطيع أنّ أنسى، أراه في كل ليلة والدّم يخرج من رقبته، كنت أختبئ منهم وأشاهد، بعد أنّ رحلوا تمنّيت لو أنّهم ذبحوني معه ». [2] إنّ الحرب استطاعت أنّ تنتزع براءة الأطفال صاروا كبارًا قبل أنّ يتكّن الزمن من ذلك.

**_ الأستاذ صابر:**

طالب قد تخرّج منذ فترة يسيرة، عُرض عليه تدريس اللاّجئين السوريين، أول درسٍ ألقاه كان قصيدة عن الحرِيّة « وقال لي: حريّتي ... لا تُشترى بالذّهب، كان عصفورًا صادقًا مع نفسه، منسجمًا مع فطرته، توّاقًا إلى ما خلقه الله عليه، أن يكون حُرًّا، فهل الحريّة تُشترى، وهل للحريّة ثمن؟». [3] كان هذا الدرس أنسب درسٍ للبدئ والانطلاق، إنّ الكلّ إلى الحريّة حتّى الطائر الصغير.

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 301.
[2] _ المصدر نفسه، ص 301.
[3] _ المصدر نفسه، ص 288.

## 2_ أبعاد الشخصيات الروائيّة:

### 2_1_ الأبعاد الجسمانيّة للشخصيّات:

وهي شكل الشخصيّات الخارجيّ التي تتّصف بها وتميزها عن غيرها « فالبُعد الجسمي يتمثّل في الجنس ( ذكر أو أنثى)، وفي صفات الجسم المختلفة ».[1]

وقد وصف الروائيّ _أيمن العتوم _ عدّة شخصيّات وصفًا جسمانيًّا فهو من النّوع الذي « يحرص على إبراز شخصيّاته بأدقّ تفاصيلها، فيهب في وصف طبائها وتعيين ملامحها مثلما نجد في الرواية الواقعيّة والرواية الاجتماعية ».[2] لأنّ هذا الوصف يجعل القارئ اكثر المامًا بالشخصيّة.

لقد بدأ الروائي وصفه لشخصيّة " عادل" صديق جلال أيّام كونه طالبًا جامعيّا « نحيلاً وطويلاً لدرجة أنّ ظهره في الأعلى كان يبدو فيه انحناءة خفيفة بسبب هذا الطول الفارع، وكان دائم البسمة، لم أره ضجر من شيء أبدًا، وأكثر ما يُميّزه تلك الشّامة الكبيرة التي تستقرُّ في الجانب الأيمن من جبينه الوضّاح كأنها ليلٌ في وسط نهار ».[3] وفي مقطعٍ آخر « نظر جلالٌ في عينيه، كانتا تبدوان صافيتين وودودتين رغم ما سكنهما من الأسى ».[4]

وذلك بعد الأهوال التي رآها عادل، تغيّر شكله، ليُصبح بلحية كثيفة وعينين تُشعّان حزنًا، كانت الإبتسامة لا تُفارقه، لتُصبح عكس ذلك بوصوله للشّام.

---

[1] _ محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص 573.

[2] _ محمد بوعزّة: تحليل النّص السردي، ص 43.

[3] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 16.

[4] _ المصدر نفسه، ص 374.

أمّا عن " سلوى" التي وصفها أيّام الثانويّة عند التقاءها بجلال « كانت ( سلوى) ذات العينين الواسعتين الخرُّوبيتين تلبس معطفا كُحليّا أهداه لها خالُها ». [1] وفي مقطعٍ آخر أكثر دقة « كان المعطف يكشف عن جسدٍ نحيلٍ لكنّه ممشوق، وطول بهيّ لكنّه غير فاحش، ووجه يميل إلى السُّمرة لكنّه لامع، وخدّين ممتلئين لكن دون أذى، وشعر أسود فاحم معقود إلى الخلف في كعكة دائرية يظهر طرفها من خلف الرأس». [2] ومنه يظهر أنّ شخصيّتها كانت بسيطة حيث المعطف مهدى من خالها، وايضا الشّعر ذو التصفيفة البسيطة.

أمّا عن " جلال" فقد وصف ابتسامته في بادئ الأمر « تابع الابتسامة من بدايتها وهي ترتسم فتكشفُ عن صفٍّ منتظم من اللئالي، وخدّين زادا امتلاءًا مع اتّساع الابتسامة، وغمّازتان لوزيّتان كعيون المها عميقتان ».[3] وفي وصفٍ لعينيه « كانت عيناه بحرًا هادئًا فاستسلمت للغرق فيهما لحيته الخفيفة المُشذّبة، ووجهه الأبيض المشوب بالحمرة».[4] فلحيته كانت « المشذّبة السّوداء التي شابها شيء من الشّقرة عند أسفل الذّقن».[5] والمُستنتج من ذلك أنّ شخصيته هادئة وطيّبة، جميل الشّكل والملاح، مُحبٌّ للمساعدة ودائم الابتسام خصوصًا في وجه زوجته سلوى وابنهما بدر.

" إبنُهما " قد وُصِف في عدّة مواضع مُنذ كان صغيرا إلى أنّ كبر، فعندما وُلد « كان جميلا بالفعل بشكل لافت، وجهه مثل فلقة البدر، أحمر مازال يَبُضُّ دمًا». [6] فكان كاسمه في بهاءه وجماله وحين صار بإمكانه المشي وصفه الكاتب بقوله: « شعره الأسود الفاحم كان قد بدأ

---

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 18.
[2] _ المصدر نفسه، ص 19.
[3] _ المصدر نفسه، ص 19.
[4] _ المصدر نفسه، ص 21.
[5] _ المصدر نفسه، ص 30.
[6] _ المصدر نفسه، ص 66.

يُصبح غزيزًا، وعيناه اللّوزيتان بدتا أجمل وهما مُطبقتان، وخدوده المتورّدة، وجبينه الأبيض العريض، وذقنه المُدوّرة، إنّه يُشبه أباه تمامًا » .[1] وعندما أصبح قادرًا على الذّهاب للمدرسة « بياضه المشوب بالحمرة إزداد نصاعة، خدّان ممسوحان، وعيون ذابلة، وشعرٌ كثيف يكاد يُغطي جبهته بالكامل ».[2] فكان كالدّمية في جماله، كما أنّ عينيه كانتا تُظهران حجم معاناته في عدم مقدرته على الكلام.

وعندما كبر بدرٌ وأصبح في الرابعة عشر من العمر تغيّر كثيرا « بوجهه الحليبيّ، وشعره النّاعم الذي تتدلّى منه غُرّة فوق الجبهة العريضة، وبشفتين متهدّلتين تنطقان بالتعاطف، وعينين تلمعان بالأسى والحبّ معًا». [3] وذلك وصفًا لحبه الذي يُكنّه لليلاس، فكان شبيهًا بوالده، في حُمرة بشرته، لكنّه لم يكن يبتسم كوالده، عيناه كانتا بديلاً عن ذلك.

إذن فالرّوائيّ استطاع أن يرسم ببراعة أوصافًا للشخصيّات الرئيسية ليس مرّة واحدة كأغلب الروايات، إنّما يُذكّرنا بهذه الاوصاف في تغيّرها المستمرّ مع تغيّر الشخصيّة في السّن، إنّ القُراء يُهمّهم هذا الوصف كثيرًا « وقد تكون روعة القصّة وقوّتها، نتيجة لمقدرة مؤلفها في رسم الشخصيّات التي لا تشذّ في ملامحها عن الشخصيّات الإنسانية المعروفة، إلاّ أنّها تعكس لنا بعض الخصائص المشتركة في الجنس البشريّ». [4]

فالشخصيّة الحقيقية هي التي يستطيع الروائي أن يوصل لنا بوصفه الدقيق شكل الشخصيات في معاناتها وفرحها، ذاك الحزن الذي يتجلّى ليغير من صفات الشخصية.

---

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 71.

[2] _ المصدر نفسه، ص 106.

[3] _ المصدر نفسه، ص 330.

[4] _ محمد يوسف نجم: فنّ القصّة، ص 47.

لم يُسهب الكاتب في تسليط الضّوء على شكل " زياد " فيتجلّى ذلك من خلال « هبط زياد بطوله الفارع، وجسده القويّ ذي العضلات النّاتئة على الأرض ». [1] وفي وصفٍ ثانٍ له ولأخته « سارا معًا، بدا عملاقًا حقيقيا إلى جانبها، كان كتفها لا يكاد يصل إلى راحة يده وهي مُسبلة». [2] من خلال ذلك يتّضح لنا أنّ زيادًا يمتلك جسدًا رياضيًّا ضخما، وقوّة ساعدته على تحمّل القتال مع المعسكر فيما بعد.

"ليلاس" عند ولادتها كانت شديدة الجمال « سمع الممرضة تقول: إنّها شقراء لا تليق إلاّ بأمير». [3] إلاّ أنّ هذا الجمال قد شوّهته الحرب « كانت نحيلة، وذات شعرٍ أشقر طويل مربوط في شتلتين من شلاّل ذهبيّ، وعينان تختصران تاريخ البكاء، وكان الجانب الأيمن من وجهها مُتجعِّدًا كأنّه لا ينتمي لطفلة وإنّما لعجوز هرمة، يبدأ بموازاة أذنها نازلاً عبر رقبتها المرمريّة المصابة، كانت نظرة واحدة إلى هذا الجانب تصيبك بالفزع الآني». [4] فهي قد أصيبت بحروق بليغة لا شفاء منها، بعد حادث الصّاروخ الذي طار بها لتستقر فوق نار ولهبٍ مختلفين، نار الحرب وجحيمه. كانت قد رأت أهوال الدنيا التي لم يرها الكبير حتّى.

وعن " حنين" فقد كانت « حنطيّة اللّون وعسليّة العينين واسعتهما في محجرين غائرين، ومهذبة الأنف، وخفيفة الحواجب، ورقيقة الشفتين، وبريئة النّظرة، تهب الناظر إليها وداعة، وكانت إلى ذلك تميل إلى الطّول بالنسبة لفتاة في سنّها، وغالبًا ما كانت تَلُمُّ شعث شعرها الطّويل الثرثار بقوس تتزرع عليها زهرات الياسمين». [5] كانت فتاة هادئة هدوء الصّفر، وانتشلها الموت ليغيّر من

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 143.
[2] _ المصدر نفسه، ص 147.
[3] _ المصدر نفسه، ص 144.
[4] _ المصدر نفسه، ص 274.
[5] _ المصدر نفسه، ص 150.

شكلها، ويشوّهه « وجهها الحنطيُّ قد غطّته مسامير تفجرت من بعض القنابل التي صاحبت القصف». [1]

فالحرب وصواريخها تنزع البهجة والجمال، والرّوح ايضًا، إنّها لا تُعطي استثناءات، إنّ كانمت بريئة حقًا.

أمّا " سميرة" فقد وُهبت كلّ صفات الجمال « تظهر المأساة في عينيها الواسعتين، تتسعان لحجمٍ أكبر منهما فتغرقان وتُغرقان». [2] تُغرقان النّاظر إليها، فجلالٌ كاد يقع في حبّها لولا أنّه تمالك نفسه « كان وجهها مُضيئًا كفلقة القمر، وعيناها السوداوان يزيدان نضارة الوجه، إذ بضدّها تتباين الأشياء، وحاجباها المنبسطان كنهرٍ من ليلٍ فوق حفنين من ثمرٍ ناضج يزيدان الفتنة فتنة».[3] أمّا شكل جسمها « بدا قوامها الرشيق قوام فتاة في أواسط العشرين، سامقًا، وتنسدل العباءة فوقه بانسيابيّة تكشف إنسيابيّة تضاريس الجسد نفسه، ومشية لم تحنها الحرب مع بأسها الشّديد». [4]

ومن كلّ تلك الأوصاف نستنتج أنّ سميرة كانت الشخصيّة الأجمل في الرواية، حيث أخذت كل صفات الجمال، أمّا عن شخصيّتها فقد كانت بسيطة ومعطاءة ولطيفة مع من يُبادلها الشعور ذاته.

وفي الأخير فإنّ كلّ شخصيّة بمواصفاتها مرآة تعكس تصّرفاتها « وليس وصف المظهر الخاجيّ للشخصيّة إلاّ انعكاس للمبادئ التي تكمن في أعماقها». [5] وذلك ليس في شكلها الجسماني

---

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 190.

[2] _ المصدر نفسه، ص 321.

[3] _ المصدر نفسه، ص 321.

[4] _ المصدر نفسه، ص 322.

[5] _ علي عبد الرحمن فتّاح: تقنيات بناء الشخصيّة، ص 55.

فقط إنّما من خلال ما ترتديه وانعكاس ذلك على شكلها فيما بعد، وقد ظهر ذلك بالأخص في أعين شخصيّات _ خاوية _ من خلال المأساة الظاهرة عليهم.

## 2_2_ الأبعاد الإجتماعية للشخصيّات:

إنتماء الشخصيّات واختلاف طبقاتهم وتفاوتها، واختلاف بيئاتهم وطريقة عيشهم، وكذلك التحوّلات الاجتماعية من فقر أو غنى، كلّ ذلك يُنسب إلى هذا البعد، فلا يُمكن للرّوائيّ أنّ يُصوّر شخصيّته دون مجتمع وبيئة فالكاتب « لكي يمنح أشخاصه الحياة _ حق الحياة _ عليه ألاّ يقتصر على تصوير القوى الغريزية الغامضة، والوعي الفردي المُطلق، وإنما يجوز له ذلك التّصوير في ظلّ الوعي الإنساني، ومنطق المجتمع والبيئة». [1] أي أنّ على الكاتب إعطاء شخصيّاته تصويرًا من كل الجوانب، وترك المجتمع يُقرّر ذلك لأنّ له الدور في تغيير الشخصيّة.

كما أنّ هذا البعد يتمثّل « في انتماء الشخصيّة إلى طبقة اجتماعية، وفي عمل الشخصيّة، وفي نوع العمل، ولياقته بطبقتها في الأصل، وكذلك في التّعليم، ومُلابسات العصر وصلتها بتكوين الشخصيّة، ثمّ حياة الأسرة في داخلها، الحياة الزوجيّة والماليّة والفكريّة، في صلتها بالشخصيّة». [2] فالجانب الاجتماعي يكشف كيفيّة عيش الشخصيّة، وفي رخاءها وفقرها وكذا المشاكل الأسرية ومشاكل المجتمع ككلّ.

وجاء في الرواية تصوير لبيئتين مختلفتين، الأردن التي تنعم بالاستقرار وفي الجانب الآخر سوريا.

[1] _ محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص 527.
[2] _ المرجع نفسه، ص 573.

بدأ روايته بذكر الأردن، وتصوير عائلة " جلال" التي لم يكن ينقصها شيء من النّاحية الماديّة لأنّ جلالاً « كان طبيبًا حديث التخرّج، متفوّقًا، أوفدته الحكومة الأردنيّة في بعثة إلى بريطانيا، درس الطّب في أربع سنوات وعاد متخصّصًا في الطّب الوقائيّ، وطبّ الأزمات». [1] فكان مُثقفًا، أمّا عن علاقته بالنّاس فكان محبوبًا نظرًا لمساعدته الدّائمة لهم، ومنهم زوج إنصاف الذي تذكّر ما فعله له من خير قبل موته « مات .... مات وهو يدعو لجلال، لقد كان يُسليه في عزلته الأخيرة، ويُخفِّف عنه، ويقف معه إلى جانبه في معركته الشّرسة مع مرض السكري...».[2] وذلك ما دفع زوجته لمساعدة سلوى، كما فعل زوجها سابقًا.

في القسم الأوّل كان الوضع هادئًا مُريحًا لا يُعكّر صفوه شيء، إلى أنّ يقلب الكاتب هذه الموازين بانتقاله لسوريا،بدأ الحديث عن أوضاعها الهادئة قُبيل الحرب، وعن دفئ العائلة في اجتماعها، فعائلة زياد كانت عائلة بسيطة، والده وهو يعملان نجّارين. « حقّقت النجارة له دخلاً ماديًا معقولاً، استطاع أنّ يكسب المال بعيدًا عن عيون الحاسدين والمنافسين». [3]

كانت العلاقة بين أفراد الأسرة هادئة، أمّا عن علاقة ليلاس باخيها زياد فقد « كانت تُحبّه بشكلٍ خُرافيّ، لم يكن يصعد إلى البيت من المتجر إلاّ وفي يده حبّة شوكولاتة لها، لم تكن تفارق حضنه حين يجلس للطعام، أو لمشاهدة التلفاز».[4] بادلها الحبّ عن طريق اهتمامه الكبير بها.

إذا فالبعد الاجتماعي يُضُمُّ اتجاهين أوّلهما « يتمثّل في انتماء الشخصيّة إلى طبقة اجتماعية وفي نوع العمل الذي يقوم به في المجتمع». [5]

---

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 18.

[2] _ المصدر نفسه، ص 105.

[3] _ المصدر نفسه، ص 145.

[4] _ المصدر نفسه، ص 146.

[5] _ عبد القادر أبو شريفة: مدخل إلى تحليل النّص الأدبي، ص 133.

أمّا الاتجاه الثاني فهو الوضع الذي يتغيّر ويُغيّر الشخصيّة، وذلك كما جاء في الرواية «يرتكب الإنسان في حياته فظائع.... لكنّ ... أفظع ما حدث لنا هنا .... هو الحرب.... ».[1] فقد غيّرت الكثير، ورسمت بكفّها كيفما شاءت على البلاد والعباد. فالأسرة التي كان الهدوء يغمر أركانها هُدّمت، لم ينجُ من الموت إلاّ ليلاس وزياد ووالدته، تغيّرت شخصيّته وأصبح لا يرى أمام عينيه سوى الانتقام ممّن قتلوا زوجته، والدته التي أحبّته، فقدت الأمل في بقاءه بجانبها « اذهب با بُنيّ ... لسنا بحاجتك ... نحن لنا الله». [2]

صديقا زياد " **ليث وشادي** " كان وضعهما الاجتماعي مختلفًا، فشادي كان يُعيل أسرته المكوّنة من سبعة أفراد بعد رحيل الأب « اضطرّ أنّ يعمل في المحلّ ويُغامر بدراسته حتّى يُعيل العائلة الكبيرة التي غرقت في الحزن والفقد». [3] أمّا عن علاقته بالشخصيّات فقد كانت جيّدة بالأخص صديقه ليث المقرب الذي « شغله تحصيله الدراسي عن أنّ يمشي في درب الضّياع والإهمال». [4] فوالده كان حيًّا، ذلك ما مكّنه من تركيز اهتمامه على دراسته فقط.

ومن الناحية الأخرى فقد كان معسكر " أبي القعقاع" يعُجُّ بالأموال التي اكتسبها من بيع السلاح على الأرصفة والنساء التي بيعت كجوارٍ« ازداد نفوذه وتراكمت لديه الاموال، فاشترى بما فاض لديه منه سلاحًا، وكان السلاح يومئذ يُباع في الطرقات». [5]

علاقته بشخوص الرواية كانت سيّئة، لأنّه لا يحب شيئًا غير مصلحته، ولا يهمه ما يحدث مع الآخرين في شيء، إنّما يتخلّص منهم على الفور، فهو عندما ملّ من زيادٍ قال له « أنت عبارة

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 185.
[2] _ المصدر نفسه، ص 194.
[3] _ المصدر نفسه، ص 155.
[4] _ المصدر نفسه، ص 156.
[5] _ المصدر نفسه، ص 245.

عن جبانٍ سقط في أوّل امتحان، فاستخدمته لتنفيذ بعض رغباتي». [1] فهو كان شيطانًا بحقّ، يستمتع بتعذيب غيره في سبيل متعته.

وعندما ننتقل إلى الجانب الثالث من الرواية، يُصوّر لنا الكاتب الوضع الاجتماعي الصّعب والمزري الذي يعيشه اللاّجئون السوريّون داخل المخيّمات الأردنية على الحدود أو أيّ مُخيّم كان «ماذا يُمكن أن تكون خيمة؟! إنّها خيمة، هذا أدقُّ وصفٍ لها، ماذا يزيد إلى الحقيقة لو قال قائل إنّها مُثبتة في الأرض بدلاً من أن تطير في الهواء ». [2] فالكل تخلى عنهم ولم يبق لهم سوى خيامٍ لا تقي من اهوال الصّقيع ولسعات الحرّ.

كما أنّ الأطفال كانوا يُجمعون كلهم بمدرسة خُصّصت من اليونيسيف ليستطيعوا أنّ يُلقِّنوهم دُروسًا ولو كانت غير تلك المُدوّنة في المناهج، المهمّ هو أنّ يتعلّموا « كان مُعظمهم ما بين سنّ الثامنة والعاشرة أولادًا وبنات شعور منكوشة، وثياب مُتّسخة، وأقدام حافية، و... فقط هناك مقاعد مستطيلة يجلسون إليها بلا إتفاق، وقد وفّرت لهم المنظّمة الدوليّة أوراقًا وأقلامًا». [3]

عاشوا الفقر والحرمان منذ الصّغر شرّدتهم الحرب، وأخذت من أغلبهم أحبّة، فكيف لهم أن يدرسوا؟ يفكرون في معاناتهم فقط لهول ما رأوا.

ليلاس وسميرة استطاعتا الخروج من هذا البؤس بعدما أسكنهما جلالٌ قرب بيته « كانت الشّقة قد جُهّزت بشكلٍ أكبر، وأُثثت أثاثًا جميلاً، وأعدّت لإقامة طويلة». [4]

---

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 256.

[2] _ المصدر نفسه، ص 309.

[3] _ المصدر نفسه، ص 286.

[4] _ المصدر نفسه، ص 325.

أمّا سلوى فكان لها رأيٌ مختلفٍ، شاهدت سميرة، وملأ الشّك قلبها، لم تكن علاقتها بها جيّدة من البداية، أصرّت بأنّها تُغوي زوجها رغم أنّ ذلك لم يحصل قالت لها « تستحقّون الموت، كان عليه أنّ يقصفكم بالنّوويّ ليَتخلص منكم، ليس من قليل ما حدث معكم في سوريّة ». [1] فهي لا تُحسُّ بالآخرين ولا بآلامهم، مُجرّد سذاجة تفكيرها بالإغواء الذي لم يكن قائمًا أساسًا جعلها تقول كلامًا مُريعًا.

## 2_3_ الأبعاد النفسيّة للشخصيّات:

وهي كُلّ ما يتعلق بالحالات التي تعيشها الشّخصيّات، وسنربط كُلّ شخصيّة باكثر حالة عانت منها، أو مرض نفسيّ كان بها.

### _ جلال: الحُزن:

والذي هو في معناه الاصطلاحيّ يكون مرتبطًا بالألم ويعني « حالة إنقباض النّفس لفقد، أو تألم أو فراق أو مكروه، وقد يكون الحزن واقعيًّا، كما يكون اصطناعيًّا». [2] فهو من الحالات النفسية التي تؤثر بالشخصيّات.

إنّ جلالاً بشخصيّته المعطاءة الطيّبة، يحزن اكثر من غيره، وحزنه حقيقي، كان يُحزنه في كثير من الأحيان معاملة " **سلوى** " له، فهي في بادئ الأمر أوجعته عندما ذكرت أمر كونه السّبب في تأخّر الإنجاب « أنت ماهرة في التّنكيد عليّ». « أنا أُريد أنّ أعرف هل أنا زوجة حقيقيّة تُريد أنّ تُصبح أمًّا أم أنّني مجرّد فتاة جامعية تقضي معها شهوتك». [3] لم يختف حزنه حتّى عندما

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 334.
[2] _ محمد التوينجي: المعجم المفصّل في الأدب، ج1، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1999، ص 362.
[3] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 25.

قاربت زوجته على الإنجاب تُكذّبه لتزيد من بحر أحزانه. « كذّاب، عدت إلى الكذب من جديد ... تُتقن الكلام، لكنّك مرواغ ... انت تهرب منّي ... أنت لا تتحمّل مسؤوليّة البيت ولا العائلة ولا أبننا القادم ... أنت فاشل». [1] لكنّ كلّ ما في الأمر أنّه كان في مهمّة موكّلةٍ له من الوزارة ليساعد مرضى أنغولا.

أشدُّ ما يُحزن المرئ رؤية معاناة الغير، وهذا ما أحسّ به جلال بعد بعثه إلى سوريا ومشاهدته لما حصل للاّجئين ومعاناتهم « لم يغمض له جفن حتّى بعد أن ترك قراءة الملفّات، وألقى بجسده المُنهك على السرير في منامات الأطبّاء، أكثر مئة مشهد تزاحمت على خياله لتبرُزَ أمامه كأنّه يعيشها، أصابته توبة عميقة من الحُزن». [2] فبقراءته للملفّات أحسّ بذلك الإنقباض، فكيف الذي عايشها؟ ذاك كان شعوره، حزنٌ عميقٌ لعدم مقدرته على فعل شيء لهم جميعًا.

### _ سلوى: الفرح المُؤقّت:

وهو شعور يؤلم الفرد أكثر من الحزن، وهذا النّوع من الفرح أو السّعادة « هي التي تدوم لفترة قصيرة من الزّمن، وغالبا ما ترتبط بموقف أو حدث سارٍ عابر، يشعر به الفرد لبعض الوقت». [3] أي فرحٌ ناقص.

إنّ سلوى تفرح لكلّ تغيّر إيجابيّ حتّى ولو كان صغيرًا في بدر، عندما أخذته اول مرة إلى المدرسة خاطبته قائلة: « سأعود لأخذك في آخر الدّوام يا حبيبي، لن أتأخّر عليك». « كادت

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 55.

[2] _ المصدر نفسه، ص 306.

[3] _ فاطمة مشعلة: مفهوم السعادة في علم النّفس، 02 مارس 2017، موقع موضوع: https://maxdoo3.com

عيناها تدمعان»[1]، فهي فرحت لرؤية ابنها في دخوله المدرسيّ الأوّل، لكنّ فرحها يُتِر في بداياته وتحديدًا بعد أسبوع « إنّه مصدر خوفٍ لنا ولكلّ العاملين هنا، مشكلة فهمه والتّواصل معه غير ممكنة الحلّ، يبدو أنّ درجة التوحّد لديه شديدة، نحن لا نتحمّل مسؤوليته». [2] لم يقبلوا به كتلميذ ممّا حطّم سلوى كثيرًا وهدم آمالها.

كان الرّسم هو طريقته في التّغيير، دفاتر رسمه « احتفظت سلوى بهنّ جميعًا في مكتبة خاصّة، قامت بتجليد كلّ دفتر على حدة، واعتنت به اعتناءا مُبالغًا فيه، وأودعته المكتبة كانّها تودع كنزًا ثمينًا». [3] كانت مسرورة من موهبة ابنها، لكنّ سماعها لحديث الأمهات عن أبنائهنّ أنساها فرحها، فهنّ يتفنّن في طعنها وجرحها بأسئلتهنّ « قُلتِ لي عمره ثماني سنوات، الحقّ عليكِ، الاهتمام به يبدأ وعمره سنتان كما فعلت فلانة». « وتستمرُّ المقاربات، وتتدفّق المواعظ والنّصائح من كلّ جهة، ولا أحد يدري بالنّار التي تشتعل في الصّدر». [4] ولو استمعت لكلام النّاس وانشغلت بالتّفكير في كلامهم، لما استطاعت انتشال نفسها من حزنها العميق.

**_ بدر: التوحّد:**

وهي معاناة من نوعٍ خاص، نوع آخر لا يدركه إلاّ من إنغمست فيه « ليس معناه الإنطوائية فحسب، بل هو إعاقة، تظهر مع مشاكل سلوكية وتكيّفية، متباينة من شخص إلى آخر يُعتبر الأوتيزم اضطراب معقّد في تطوّر ونمو الطفل في السنوات الثلاث الأولى وذلك قد يكون نتيجة

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 107.
[2] _ المصدر نفسه، ص 109.
[3] _ المصدر نفسه، ص 120.
[4] _ المصدر نفسه، ص 133.

خلل في الدّماغ والجهاز العصبي». [1] وهذا الفهم الخاطئ للمصطلح لا يزال شائعا إلى الآن، بإقران المصطلح بالعزلة فقط، إنّه أعمق من ذلك.

ظهر التوحُّد على بدر، في تصرفاته وظهرت أعراضه عليه، فهو « كان واضعًا يديه على أذنيه، كأنّما يريد أنّ يمنع الصوت من أنّ يصل إليه»[2]، فمصابوا التوحد يُحبون الهدوء، وهو بخروجه لم يتحمّل تلكم الأصوات.

كانت سلوكاته لا تُبشّر بخير، بحيث كاد يودي بحياة ابن فريال « كان بدر يجثم على صدر الطفل الآخر، وقد ضغط عليه بمقصّ من طرفه الحاد في عنقه، وراح يضربه به ضربات متتالية».[3] لكنّ بدرًا لم ينس هذه الحادثة، حُفرت عميقًا في ذكرياته، وأنّبه ضميره، فها هو يرسُم ما آلمَه، الرّسمة. « كانت فريال وهي تُمسك بين يديها ابنها الجريح، والدّماء تسيل على وجهه، هو يبكي وهي تبتسم». [4]

استطاع التوحد أن يكون حاجزًا يمنعه عن الكلام لمدّة طويلة، لم يستطع تكوين جمل حتّى صار في التّاسعة من عمره. « أنّا... ». « صمت دقيقة وهو يحاول أن يُكمل الجملة التي بدأها، كرّر ».« أنا ». « عشر مرّات قبل أنّ يقول بعد فترة صمت طويلة: « عطشان». [5] مشاعره تجاه ليلاس وحبّه لها أظهره عبر لوحاته لها ورسمها معه في نفس اللّوحة. « بشفتين مُتهدّلتين تنطقان بالتعاطف، وعينين تلمعان بالأسى والحُبّ معًا بدا حقيقيًا على نحو مدهش، كانت نظراته الحزينة

[1] _ بديع القشاعلة: المعاني (مصطلحات في علم النّفس)، شركة السيكولوجي، فلسطين، 2019، ص 18.
[2] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 98.
[3] _ المصدر نفسه، ص 76.
[4] _ المصدر نفسه، ص 124.
[5] _ المصدر نفسه، ص 126.

تقول شيئًا له علاقة بدفق من المشاعر التي تنمو في القلب على غفلة من الآخرين».[1] فمرضى التوحّد يُحسون أيضًا، ويُعبِّرون، بأرقى الأساليب، لكلٍّ طريقته والرّسم كان أسلوب بدر.

**_ زياد: تقلُّب العواطف ( الوجدان):**

لا تُعرفُ تصرّفات صاحبه، لأنّه دائم التغيّر في مزاجه « كما يوصف الوِجدان، أحيانًا بالتّبلّد أو الضّيق أو السطحيّة أو التقلب، والاضطرابات الوِجدانية من الحالات النفسية التي تكون علامتها الرئيسية الاكتئاب أو مرض الهوس». [2]أي أنّ لتقلّب العواطف علاقة بالاكتئاب.

زياد كان أكثر الشخصيّات تغيُّرا في المزاج والعواطف، منذ فقده لزوجته أدّى به اكتئابه إلى أفكار جنونية، فها هو يسعى للانتقام ممّن قتلوها رُغم كونه لا يعرف الشخص المسؤول عن ذلك. « كلّ هذا من أجلها، لقد رحلت...». قاطعها: « لم ترحل، إنها موجودة معي في كلّ لحظة، عيناها تقولان لي: كان بإمكانك أنّ تُنقذني ولم تفعل». [3] أصبح زياد مهووسًا بفكرة الانتقام، يراها أمام عينيه تستجديه، انظمّ للمعسكر لكنّه لم يجد غايته، كان كلّ ما يفعله هو الشجار مع أصدقاء قُدامى. « جاءهم صوت زياد: « ليست طريقة مناسبة للقتال ... إنّها أبأس الطّرق، إنّها خديعة ... ومن يدري إنّ كان بريئًا أم لا؟!». « همَّ ليث بأنّ يتعارك معه ». [4]

تغيّرت حالة زياد النّفسيّة بعد انضمامه لمعسكر أبي القعقاع، أصبح لا يرى شيئًا أمامه، يغتصب، ويقتُل ويفعل ما يُؤمر به، ذاك الاكتئاب الذي صاحبه هوس في الانتقام طار بعيدا، أصبح منسيًّا. « رأى زحفها المُستمرّ جهته تاركة كل أحد من عائلتها لأجله، ثمّ ... ثمّ رأى عينيها

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 330.
[2] _لطفي الشربني: معجم مصطلحات الطب النفسي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، مصر، ص 04.
[3] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 192.
[4] _ المصدر نفسه، ص 209.

وهما تنظران إلى أبي القعقاع، تنظران بذعرٍ شديد ... ضحك، علت ضحكته، قهقه بشكل هسيتري». [1] دفعه اكتئابه وشعوره بشرور أفعاله إلى وضع حدٍّ لحياته في نهاية المطاف، لم يُرد أنّ يعود لأمّه وأهله، صيّرته الحرب مُجرمًا بعد كلّ شيء!!

## _ ليلاس: الألم الجسدي والنّفسي:

نوعان من انواع المعاناة التي توجع صاحبها، فالجسديُّ هو الآثار التي تُطبع على الجسد وقد لا تُفارقه، أما النفسيُّ فأشدُّ إيلامًا « ولكنّ المريض الذي يعاني من الألم النفسي مأساته أفدح، بينما مريض الألم الجسدي يستطيع أنّ يُشير إلى مكان ألمه فإنّ مريض الألم النّفسي لا يجد مكانًا يُشير إليه...». [2] لأنّ الآلام النّفسية متعلّقة بالرّوح والذاكرة، فلا يُمكن أنّ يفهمها إلاّ صاحبها.

أمّا عن الرواية التي امتلئت آلامًا عاشتها الشخصيّات ذكرنا ليلاس، اكثرهم وأشدهم معاناةً، فهي عانت الألمين، أوّلهم فراق أخيها« لن أتأخر كثيرًا يا ليلاس، سأذهب في بعض المهمّات شمالاً، وساعود. « تراجعت خطوة إلى الوراء ونظرت في وجهه وقد ضيّقت عينيها»، وقالت بغضب: « أنت تكذب ... أنا أعرف أنّك لن تعود». [3] فهي أحسّت بأنّها آخر نظرة تُوجّهها نحوه، وقد صدق إحساسها، وبدأت معاناتها لتلامس الرّوح أوّلاً.

بينما اتّجهت هي ووالدتها للهرب إلى خال ليلاس ابتعادًا عن الحرب، جاء صاروخٌ ليحيل ذلك. « كانت قذيفة عمياء تُبصرنا دون سوانا، مزّقت السيارة الأولى، ومات كل من فيها على الفور، كنّا في السيّارة الثانية، طرنا في الهواء، لا أدري إنّ كانت السّماء احتضنتنا لوهلة بين

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 247.
[2] _ عادل صادق: الألم النفسي والعضوي، توزيع الأهوام، مصر، 1986، ص 83.
[3] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 193.

غيومها أم لا». [1] ذهب الصّاروخ بنصف جسد ليلاس ليجعله مشوّها بحروق بليغة، لتُصاب جسديا ونفسيًّا أيضًا، أُمّها وكيانها الثاني ماتت أمامها، لم يبق لها أحد غير زوجة خالها، كلاهما عانيا على حدٍّ سواء. « كانا ملاكين انتُزعا من الجنّة، ولحقهما بعض الجحيم مرّ الجحيم بالجانب الأيسر من جسدها، وسميرة مرّ في صميم قلبها». [2] فسميرة لم تمرّ بنفس ما مرّت به ليلاس لكنّها راتها في جميع حالاتها، وهي تُصبح أكثر توحُّدًا وعدائية، يمكن للحرب أن تجعلك أكثر من ذلك أيضًا، كانت تصرخ بشكل هستيري. « والله ما علمنا شيء ... حرام عليكن ... لوين مودّينا ... للموت موهيك ... صواريخ ... صواريخ ... اهتز البيت ..... وقعت الخزاين ... متنا ... والله متنا؟!». [3] فهي أصبحت تخاف من أيّ مكانٍ يذهبون إليه، حتّى بعد خروجهم من سوريا، ما راته خلال حياتها القصيرة كان كفيلاً بذلك، موت أمّها أمامها، احتراقها، كلّ ذلك تجمّع في قلب هذه الفتاة الصغيرة.

### _ شادي وليث: حُزن الفقد:

وهو نوع آخر من الألم، يُسّبب الرغبة في البكاء ويظهر في الملامح. « الحُزنُ والحَزَنُ خشونة في الأرض وخشونة في النّفس لما يحصل فيه من الغمّ ويُضادّه الفرح ولاعتبار الخشونة بالغمّ قيل خشنت بصدره إذا حزنْتَه، يُقال: حزَنَ يحْزِنُ وحَزَنْتُهُ أو أَحْزَنْتُهُ، قال جلّ وعلاّ: ( لكيْلا تحزَنُوا على ما فَاتَكُم) ». [4] ولألم الفقدان آثاره على الروح، فهو نوع من الآلام النفسيّة.

---

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 310.

[2] _ المصدر نفسه، ص 321.

[3] _ المصدر نفسه، ص 275.

[4] _ الرّاغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، 502هـ، ص 115.

نلاحظ حزن شادي على فراق أخواته الخمس ووالدته دفعة واحدة « شويّة مَيْ يا خُوي». انفجر بالبُكاء، جلس بها على الأرض، حضَنها، دفن رأسه، صرخ لكنّها ابتسمت، أغمضت عينيها، فانخلع قلبه، فتحتهما مرّةً أخيرةً ثمّ شَخُصَ بصرها إلى السّماء!!». [1] استشهدوا إثر صاروخ، رحلوا جميعًا تاركين شادي يتجّرع ألم وحزن الفقدان.

أمّا ليثٌ فكان حزنه هو رؤية صديق دربه قديمًا يتغيّر، ليُصبح أسوء فأسوء « أنت صاحب سوء ... لو أنّك انضممت إلى مُقاتلي النّظام لكان ذلك أفضل ... ما هذه الدّناءة التي انت فيها». « لا باس يا ليث ... سنبدأ الشّتائم من الآن؟! أرح نفسك من غضبة بلا وعي، رُبّما ستُضطَرُّ إلى مثلها حين تبدأ المواجهة الحقيقية». [2]

إنّ الأسوء من حزنه على فقدان صديقٍ كان كبيرًا، حلمه في تغيّره لم يتحقّق بل أصبح أسوء من ذلك، حيث خانهم زياد، ممّا أدى إلى موت كلّ أفراد المعسكر، لم يبق سوى شادي، الذي كان يصرخ في ليث، يترجّاه أنْ لا يتركه. « ليث لا تمت ... أرجوك يا صديقي ... لا تمت ... لم يبق لي في هذه الدنيا سواك، أتعرف معنى أنّ أفقد كلّ أخواتي وأمّي دفعة واحدة، ... شعرت معك بأنّ جُرح الحزن الأبديّ يُمكن أنّ يلتئم إذا مسح صديقٌ وفيٌّ مثلك بيده عليه». [3] لم يمت ليث كما تمنّى شادي، لكنّ حالته كانت أسوء من ذلك، لم تزد إلاّ من آلام شادي وليث الذي حلم يومًا برجوع زياد إلى صوابه. « لكنّ نصفه الأسفل تخلّى عن الحركة إلى الأبد، وظلّ شاهدًا على لحظات الخيانة التي لا تأتيك إلاّ مِمَّن كُنتَ أشدّ الناس ثقةً بهم!!».[4] ربّما قد تمنّى الموت على البقاء وهو

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 210.
[2] _ المصدر نفسه، ص 199.
[3] _ المصدر نفسه، ص 236.
[4] _ المصدر نفسه، ص 236.

بتلك الحالة، يتذكر كلّ يوم غدر صديقه، ويستمرُّ شرخُ الأحزان بالاتساع شيئًا فشيئًا إلى أنّ ينهيه!.

## _ أبو القعقاع: العدوانيّة:

تشمل العنف بكل أنواعه، جسدي، نفسي وجنسي « السّلوك العدوانيّ أو السلوك العنيف هو أي سلوك يهدف إلى الإيذاء أو التّخريب». [1]

وهذا ما وجدنا عليه شخصيّة أبي القعقاع، الذي كان يوهم المعسكرات الأخرى التي تُقاتل النظام أنّه معهم، إلاّ أنّه لا يسعى إلاّ خلف المال، النساء والثّروات، يخون المعسكرات الأخرى ويكون في صفّ النظام إذا ما كان ذلك يصبّ في صالحه « ازداد نفوذه وتراكمت لديه الأموال، فاشترى بما فاض لديه منه سلاحًا، وكان السّلاح يومئذٍ يُباع في الطرقات، ويُشرى من على الأرصفة، وكان تكدّس اللحم عند أبي القعقاع إشارة إلى تكدّس الحديد عنده». [2]

فهو باع الأسلحة إلى كل الأشخاص، رغم كون ذلك غير مصرّح وغير قانونيّ، وكيف له أنّ يهتَمّ؟ إنّه يقوم بأسوء من ذلك أمر زياد بأنّ يغتصب فتاةً أمام ناضريه « إنّها لك، وأريدك أنّ تفعل ذلك أمامي». ارتخت ركبتاه، ردّ بكلمات متقطّعة: « أنا ... أنا.... ». نظر إليه بسُّخرية، وهزّ رأسه: « أنت ماذا؟! هل أصبحت شريفًا بين عشيّة وضحاها؟! ». [3] فأبو القعقاع من النوع القذر، شخص كالشيطان أو أسوء منه، وذلك راجعٌ إلى اختلاله، فهو شخصيّة مُضادّة للمجتمع

[1] _ بديع القشاعلة: المعاني، ص 12.
[2] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 245.
[3] _ المصدر نفسه، ص 255.

وللدّين أيضًا هذه الشخصيّة. « تتميّز أيضًا بالإندفاعيّة وراء ةالغرائز. وهو أحد الحالات النفسيّة التي تؤثر على تكوين شخصيّة الفرد». [1]

ومنه نستنتج أنّ حالة أبي القعقاع كانت الأسوء، فهو مُؤذٍ للغير، قاتل، لا يَعبَئُ بأحدٍ غير نفسه، وحالته النفسيّة يُصاحبها اختلال في الشخصيّة وجنون لا نضير له.

## 3_علاقة الشخصيّات بالتّقتيتين السّرديّتين ( الحدث/ المكان):

### 3_1_ علاقة الشخصيّات بالحدث داخل الرّواية:

### أ_ بداية الحدث:

قبل الإسهاب في علاقة الشخصيّة بالحدث الروائي، فإنّه ينقسم إلى ثلاثة أقسام أوّله بداية الحدث « والحدث الذي تُصوّره قصّة " موبا سان" ينقسم ككّلّ حدث مُتكامل إلى مراحل ثلاث: المرحلة الأولى: وهي البداية أو الموقف». [2] أمّا القسمان الآخران فهُما منتصف الحدث أو اوسطه وفيه تكون الأحداث في أوجها، ثمّ تنتهي بنهاية الحدث وسنُبيّن علاقة الشخصيّات ببداية الحدث أوّلاً:

### _ حقيقة مرض بدر وأثره على والديه:

بدت الأحداث في بادئ الأمر هادئة، صوّر من خلالها _ أيمن العتوم _ اللّقاء الأوّل بين جلال وسلوى ثمّ زواجهما وفرحهما بقدوم حياة جديدة في أسرتهما، لكنّ هذه الأحداث الهادئة عُكّرت

[1] _ بديع القشاعلة: المعاني، ص 15.

[2] _ رشاد رشدي: فن القصة القصيرة، ص 51.

بمجرّد معرفة مرض ابنهما بالتوحّد « لا أصّدق .... ولا أريد أنّ أصدّق ... أنت تكذب عليّ كعادتك». « الإنكار يا سلوى لن يُفيدنا في شيء، بل يتسّبب في مزيد من الأضرار لطفلنا». [1] كان جلال مؤمنًا بأنّه ابتلاء، وحاول إخراج سلوى من دوّامة أحزانها التي أغرقتها.

كانت الأحداث في بدايتها تفتقد لعنصر المفاجأة باستثناء معرفة مرض الإبن بالتوحّد وقد كان وقعها بطيئًا لأنّ تلك مجرد البداية. « وتظهر سرعة الأحداث كذلك بعد التأزُّم في طريقها إلى النّهاية، في حين تكون سرعة الأحداث أقل قبل تشكّل الأزمة، وكذلك حين يُصوّر الشخصيّات فإنّه يحتاج إلى وقت أطول، لأنّ توضيح الصّورة بأفعال يحتاج إلى تركيز، وبطء نسبي ». [2]

فقد كانت البداية تُظهر تأقلم الوالدين شيئًا فشيئًا مع طبيعة الحدث الواقع والذي هو المرض، وتقبّلهما له في الأخير.

« سنتمسَّك بالأمل، وسنُحارب الحالة، ونخرج منتصرين... هل أنتِ مستعدّة لمعركتنا القادمة مع التوحّد يا سلوى؟!». [3] كانت بالفعل معركة شاقّة على الوالدين وابنهما لكنّ التمسك بالأمل والتفاؤل هو ما ساعدهما على تجاوز هذا الحدث.

## ب_ مُنتصف الحدث: ( العقدة):

وفيه تبلغ الأحداث أوجها وتشتّدُّ وتتشابك كلّ خيوط الرواية في نقطة واحدة « إنّ عُنصر العقدة لا يزال آداةً قوية لتشكيل لحظة تازّم داخل النّص، يُتبعها القارئ بشوق من أجل حلِّ الإبهام الذي يُحيط بها مُحقّقًا بذلك لذّة جماليّة. ونرى أنّ في الأعمال القصصيّة الخالية من العقدة نُقصًا

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 86.
[2] _ عبد القادر أبو شريفة: مدخل إلى تحليل النّص الأدبي، ص 125.
[3] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 87.

كبيرًا، يُخِلُّ بالعمل الأدبي ككيان متكامل ». [1] فالعقدة عنصر أساسيّ في النص الوائي، وذلك لكُلٍّ من القارئ وحتّى الشخصيّة، لأنّها تواجه كُلّ مشاكلها ومخاوفها في هذا العنصر وتُحاول الخروج بحلّ.

## _ مأساة الحرب، وتأثيرها على الشخصيّات:

بعد انتقال الكاتب إلى القسم الثّاني، نقلنا إلى بيئة أخرى وهي سوريّة، وبدأ الحدثُ بالتّصاعد، والشخصيّات بالتغيّر بسببه، أوّله وفاة حنين زوجة زياد، ويظهر عدم تحمّله لهذا الحدث المفاجئ الذي سبّب اضطرابًا في شخصيّته، أدّت به إلى قرار الانتقام « كان يتطلّع إلى قاتلٍ خفيّ، ومُجرم غامض يُريد أنّ ينتقم لزوجته منه!! ». [2]

كما نجد أنّ لأبي القعقاع الدور الهام في إدارة عجلة الأحداث والتغيير في شخصيّة زياد إلى الأسوء « في الحرب لا خيار من لا يَقْتُل يُقتَل». [3] قالها غير مُبالٍ، نسي انتقامه وغاص في الإجرام.

كما « يُشترط في العقدة أنّ تتضمن صراعا قدريًّا، او ناتجًا عن ظروف اجتماعية أو صراعًا يقوم بين الشخصيّات الموظّفة، أو صراعًا نفسيًّا في داخل الشخصيّات ». [4] وهذا ما وجدنا عليه شخصيّات الرواية، فهي في علاقتها مع الحدث تُحاول مواجهته وفرض نفسها، أوّلا وجدنا زياد وقد واجه « صراعًا قدريًّا »، فهو حاول أنّ يُنقذ امرأته لكنها باءتْ فشلاً.

---

[1] _ شريبط احمد شريبط: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص 27.

[2] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 205.

[3] _ المصدر نفسه، ص 246.

[4] _ شريبط احمد شريبط: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص 27.

ثمّ نجد « الصراع الناتج عن ظروف اجتماعية ». من خلال معاناة اللاّجئين ورغبتهم في العيش بكرامة. « كان أبي يقرأ كلّ يوم لي قصّة، كُنّا عند بيت عمّتي في الحيّ الثاني، قالوا لي إنّ بيتنا قد قُصف ومات أبي، هنا في المخيّم لا يوجد أحدٌ يقرأ القصص لي، كم أشتاق إلى أبي». [1] رغم الأحداث القاسية لا زال اللاّجئون يحلمون، وهل الحلم يقتصر على فئة معينة من الناس؟ إنّ الأحداث التي وقعت في سوريا خلقت هذه الشحصيّات التي يسعى بعضها إلى العيش والبعض الآخر إلى الانتقام. « سأنتقم ولو بعد خمسين عامًا، سانتقم ولو انتهت الحرب، لقد ذبحوا أبي أمامي، لا أستطيع أنّ أنسى، أراه كلّ ليلة والدّم يخرج من رقبته ». [2] إنّ الأحداث كانت أقسى عليهم من بين الجميع، خلقت هذه الأخيرة شخصيّات ذات عقول كبيرة، لا رغبة لها بالعيش بعد موت أحبّتهم وذويهم.

أمّا عن « الصّراع الذي قام بين الشخصيّات » تذكر صراع زياد الدّائم مع صحبه داخل المعسكر، فأسبابه غير المفنعة في للانضمام كانت محلّ خلاف دائم. « الحقيقة الوحيدة التي أفهمها أنّني أُريد لوطني الحريّة، ولشعبي غدًا أفضل ». « هذه حقيقتك الخاصّة بك، أما حقيقتي فهي أنّني أريد أنّ أتخلص بشكل نهائي من الكذبة الكبيرة التي عشتها ومن نظرات امرأتي في نزعها الأخير ... ولديَّ وسائلي». [3]

تشكّلت شخصيّة " شادي" رفيق ليث بعد ما كابده من اهوال، فقَدَ كُلّ عائلته في أيّام معدودات، ألقى عليه الحدث بفاسِهِ ليواجه ألم الفقد للمرّة الثانية، فها هو يفقد رفقاء معسكره دفعةً واحدة، يستجدي صديقه الوحيد ليتشبّث بحبل الحياة « ليث لا تمت ... ارجوك يا صديقي ... لا

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 304.
[2] _ المصدر نفسه، ص 301.
[3] _ المصدر نفسه، ص 198.

تمت ... لم يبق لي في هذه الدنيا سواك». [1] فهو كان يواجه " صراعًا نفسيًّا" مع ذاته، ألم الفقد وحده كفيل برسم هذا الصّراع في روح صاحبه.

ونستنتج من خلال علاقة العقدة بالشخصيّات في الرواية أنّها غيّرتهم كثيرًا، رغم ذلك استطاعوا التعايش مع الأحداث.

## ج _ نهاية الحدث:

وفيها يصل الكاتب إلى نهاية الرواية، وتصل الشخصيات إلى الحلّ الذي يُخرجها من العقدة التي كانت فيها سابقًا « بعد أنّ تتشابك الأحداث القصصيّة وتبلغ ذروة التعقيد تتّجه نحو انفراج يتّضح من خلاله مصير الشخصيّات، وقد اعتاد الدّراسون أنّ يُطلقوا على هذه المرحلة اسم النّهاية، أو لحظة الانفراج ». [2] وليس بالضّرورة ان يكون معنى الانفراج هو النهاية السعيدة، إنّما نهاية الرّواية بطريقة تُرضي القُراء وتُقنعهم.

### _ الأمل موجودٌ دائمًا ولو كان ضئيلاً:

بعد مرور شخصيّات خاوية باحداث متفاوتة في الشّدة، حانت أخيرًا لحظة نهاية المأساة لبعضهم على الأقل، فليلاس وسميرة وجَدَا البيت الذي يؤويهم بعدما كانتا تعيشان في المخيّم. « على باب شقّتهما، نظر في عينيّ ( سميرة) كانت تريد أنّ تشكره لكنّ الكلمات لم تجد لها سبيلاً لتُقال، ناب القلب عن اللّسان». [3]

---

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 236.

[2] _ شريبط احمد شريبط: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص 28.

[3] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 325.

وبعد أنّ شكل الحدث شخصيّة " ليلاس" واراها فواجع كحرقها الدائم ورؤيتها لذبح الأطفال، ذاك جعلها لا ترغب بالحديث إلاّ نادرًا، وها هو الحدث انقلب لصالحها، مع بدرٍ الذي ساهم في جعلها تتحدّث « كان عام 2019 عامًا أخضر بالنسبة لهما، انطلق لسان ليلاس بشكل عجيب، تفتّح قلبها بالسّرور، كان جافًّا كأنّ حفنة سفّاء من رمادٍ ظلّت تنتثر في ساخته، حتّى جاء هو فكنس الرّماد، وزرع الياسمين، ورسم الضّحكة». [1]

لكنّ سلوى لم تتماشَ جيّدًا مع ما يحصل من أحداثٍ لم تَرُقها، تشاجرت مع جارتها "سميرة" « إنهالت اللّكمات، وتطايرت أحذية، ونُتفت شعور سبحت في الفسحة بين الشقّتين، وتعالتِ الأصوات، وراحت الشّتائم المُتبادلة تصُك الأسماع ». [2] استطاع جلال بحنكته أنّ يصنع نهايةً لهذا الحدث بخروجه في عمله لمدّة طويلة وذلك ليترك مجالاً لهما لكي تتعايشَا ليس من أجله، بل من أجل بدر الذي أحبّ ليلاس، تركتها تعيش معها في نفس البيت. « المهمّ دعيني أتحدّث لك في المفيد، ستعيشين معي في هذا البيت بقوانينه ». [3]

عاد جلال بعد بعثته الطويلة إلى دياره « كان قد خطا عشرات الخطوات مُتّجهًا إلى طريق الشمال، قاوم رغبة شديدة في أنّ يستدير نحوه ويُلوّح له بيديه مودّعًا ». [4]

استطاع الأمل أنّ ينتصر في آخر الرواية على اليأس « في عام 2025 أنشا بدر معهدًا للفنون الجميلة في دمشق، تخصّص في رسم الوجوه، طاف هو وليلاس بلدان أوروبا وأمريكا

[1] _ أيمن العتوم: خاوية، ص 353.
[2] _ المصدر نفسه، ص 334.
[3] _ المصدر نفسه، ص 352.
[4] _ المصدر نفسه، ص 383.

يتحدث بالفرشاة ذات اللسان العالمي ليكون شاهدا على زمن الفجيعة و زمن الأمل أيضا». [1] إذا في النهاية فان الحدث لم يغير في شخصية بدر وليلاس أكثر من عانيا في الرواية.

بدر بمرضه وليلاس بما فعلته الحرب فيها بعد أن حاول الحدث التأثير فيهما سلبيا صنعا الحدث معا في نهاية المطاف ليريا العالم ما حدث في سوريا.

في الأخير فان رواية خاوية صورت لنا « حدثا متكاملا له وحده، فلأجل أن تتحقق للحدث وحدته يجب أن لا يقتصر على تصوير الفعل دون الفاعل لأن الفعل والفاعل أو الحدث والشخصية شيء واحد لا يمكن تجزئته فان اقتصر التصوير على الفعل وحده لما استطعنا أن نصور الحدث كاملا »[2] فهي قد أعطت لكل من الشخصية الفاعل والحدث والفعل الأهمية نفسها من اجل أن يظهر الدور الذي يقومان به في المبنى الروائي.

## 3_2_علاقة الشخصيات بالأمكنة داخل الرواية:

ذكرنا في الفصل الأول أن المكان نوعان مغلق ومفتوح وسنُبيّن فيما يلي هذه الأمكنة وعلاقتها بالشخصيات:

### أ_ الأمكنة المغلقة:

لها مفهوم أوسع من كونه مجرد مكان له جدران « فإذا كان له سقف أو محدود فهو مغلق ولكن هذا جزء من هذه التسمية ولا يغطي جميع الجوانب فمن الممكن أن يسمى قسم المدينة مغلقا

[1] _ أيمن العتوم، خاوية، ص385.

[2] – رشاد رشدي، فن القصة القصيرة، ص54.

وذلك راجع إلى طريقه تفكيرهم المحدودة وطبقتهم الاجتماعية»[1] ومعنى ذلك أن الناس الغير المثقفة مثلا من الممكن أن تعتقد بان المدينة أو أي مكان مفتوح آخر انه مغلق

## _ الشخصية والبيت:

البيت هو الدفء والمكان الذي يشعرك بالأمان ويثير في نفسك ذكريات لا تحصى بمجرد مغادرتك إياه والرجوع إليه "وهكذا فمن الخطأ مثلا النظر إلى البيت كركام من الجدران والاثاث يمكن تطويقه بالوصف الموضوعي والانتهاء من أمره بالتركيز على مظهره الخارجي وصفاته الملموسة مباشره لأن هذه الرؤيه ستنتهي على الأرجح الى الاجهاز على الدلالة الكامنة فيه وتفرغه من كل محتوى"[2] لأنه يحمل في أركانه اكثر من مجرد هيكل مبني من طوب وحجارة نظرا لأهميته التي تعود على الشخصية وتعلقها به أكثر من الأمكنة الأخرى في أغلب الأحيان.

وفي الرواية ذكر البيت كثيرا نذكر منه بيت جلال « وهو يُدير مفتاح الشقة ليدخل البيت بعد يوم شاق من العمل في الوزارة حين دخل كانت زوجته قد انتهت من إعداد طعام الغداء رآها تضع أخر طبق من الأطباق على المائدة »[3] ولا يدل البيت لجلال إلا على الراحة يكفيه رؤية زوجته تملأه بهجة.

لكن لسلوى رأي آخر، صحيح أنها تحب البيت والإستراحة فيه، لكنها لا ترغب البقاء حبيسته « طول الجلوس في البيت يصيبني بالضجر، وربما سيزيدمن العصبية عندي، لست مجنونة لكي

[1]– ينظر، حجت رسولي، علاقة الشخصية بالمكان المفتوح وتشكيل الفضاء الروائي، حامل الوردة الأرجوانية نموذجا، إضاءات نقدية، إيران، 2018، ص18.

[2]– حسين بخراوي، بنية الشكل الروائي، ص43.

[3]– أيمن العتون، خاوية، ص24.

أؤذي نفسي بهذه الطريقة »[1] إن لها وجهة نظر صحيحة لأن المكان ولو كان محببا للمرئ، فعليه استنشاق عبق الحرية قليلا.

بعد أن رزق جلال وسلوى ببدر أصبح للبيت مكانة خاصة، أصبحت سلوى في أغلب الأحيان لا تفارقه، ففيه مهجة القلب الذي أنار البيت بضيائه « تحمله بين يديها أن ذهبت إلى المطبخ أو مشت في الممر أو هرعت لتفتح الباب أو قامت لترد على الهاتف أو خرجت لتشم بعض الهواء على الشرفة وكانت تلاعبه في كل مكان من البيت ».[2]

كان البيت بالنسبه لبدر المكان الوحيد الذي يشعره بالراحة « كانت كل جدران البيت تمتلئ بالرسومات المذهلة »[3] فرحته في البيت جعلته يظهر موهبته في أنحاءه

أما عن عائله زياد فكان أكثر الفرحين بالعودة إلى البيت زياد وليلاس التي تستقبله بكل سرور« لم يكن يصعد إلى البيت من المتجر إلا وفي يده حبه شوكولاته لها لم تكن تفارق حضنه حين يجلس للطعام أو لمشاهده التلفاز لم تكف عن العبث بالشعر لحيته ».[4]

فالشخصية مرتبطة بالبيت ارتباطا وثيقا « البيت جسد وروح وهو عالم الإنسان الأول »[5] إذ أن كل ذكريات الشخصية تحفرُ في كل ركن من أركان البيت لتزيد من حبه للمكوث والبقاء فيه وعدم تغييره.

---

[1]– أيمن العتوم، ص33.

[2]– المصدر نفسه، خاوية، ص69.

[3]– المصدر نفسه، ص124.

[4]– المصدر مفسه، ص 146.

[5]– عاستون باشلار، جماليات المكان، ص38.

**_ الغرفة:**

الغرفة جزء من البيت ويحملان الأهمية ذاتها كل شخصية لها الغرفة التي تفضلها عن غيرها من الغرف « ولا شيء باستطاعته الكشف الكامل عن بنيتها الجمالية والبلاستيكية فهي من التنوّع والخصوبة ما يجعلها كل شيء بالنسبة للإنسان خارج الفضاء الأرضي المتسع »[1] فهي التي تحتويه بعد كل شيء وتمنحه دفئا من نوع خاص وهو الراحة.

كانت شخصيات الرواية في علاقتها مع الغرفة في تغيير مستمر فهي بالنسبه لسلوى مكان للأحلام التي ظنتها مستحيلة « جلست وحدها متمددة على أريكة طويلة في غرفة الجلوس شعلت موسيقى هادئة، وراحت تحلم تخيّلت بطنها يكبر».[2] وذلك لرغبتها أن تكون أما بشدة كما كان للغرفة ذكريات سيئة على الشخصية ويظهر ذلك في هذا المقطع. « ركضتا إلى غرفة الأطفال لن نشاهد المنظر الذي هزهما بشكل مفاجئ كان بدر يجثم على صدر الطفل الأخر وقد ضغط عليه بمقصّ من طرفه الحاد في عنقه ».[3] فكانت ردة فعل سلوى وفيريال هي الفزع مما جرى وتذكر تلك الحادثة عند ولوج الغرفة.

كما أن الغرفة كانت وعاءًا يحوي كل ما يختلج الشخصية من مشاعر « جلس اليها في غرفة الجلوس نظر في عينيها عميقا: نحن لا نختار..... الله اختر عنّا.... الرضا أول الحل».[4] فقد هدئ جلال سلوى بعد معرفتهما بإصابة بدر بالتوحد.

لكن الحزن والفرح متعاقبان تكعاقب الفصول وليس الحزن يقابع دائم في النفوس فها هو بدر يحب غرفته ويطيل الجلوس فيها ليظهر إبداعه الذي ناب لسانه. « دخلت غرفته وجدته قد

---

[1]– ياسين النصير، الرواية والمكان، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، العراق، 1986، ص74.

[2]– أيمن العتوم، خاوية، ص33.

[3]– المصدر نفسه، ص76.

[4]– المصدر نفسه، ص86.

استخدم أقلامه ليرسم وردة من الورود التي على شرشفه الأخير لكنه لم يلونها ».[1] وفي مقطع أخر « كانت الغرفة مضاءة وهو يجلس في وسطها ومن حوله تبعثرت الفرشاة وبعض الألوان التي صبغت الأرضية البنية بألوان متعددة ».[2] فالغرفة كانت المكان الوحيد الذي شعر فيه بالأمان وذلك ما دفعه إلى إظهار إبداعه « فهي غرفة لا تتسع لوجوده الواقعي اليومي فحسب بل وتتسع لأحلامه أيضا».[3] والتي ستصيرُه فنانًا في ما بعد كان أول رسماته وردة!

**_ المدرسة:**

للمدرسة دور كبير في بناء الشخصية وتنميتها لتصبح شخصية ذات دور هام في المستقبل « لا تنطوي دور المدرسة على اكتساب العلوم والمعرفة فقط، وإنما سيتعلم الأطفال في المدارس العديد من المهارات الجديده بما في ذلك المهارات الاجتماعية».[4] فهي ملجأ لاكتساب المهارات يوما بعد أخر لكن ومن خلال رواية خاوية تظهر لنا المدرسة بمثابه الحلم صعب المنال فبدر في بداية دخوله لها لمدة أسبوع تم رفضه. « أنه مصدر خوف لنا ولكل العاملين هنا مشكلة فهمه والتواصل معه غير ممكنة الحل يبدو أن درجة التوحد لديه شديدة نحن لا نتحمل مسؤوليته».[5] بعد هذا الرفض قررت سلوى عدم أخذه لمدرسة أخرى فهم سيرفضون قبوله بالتأكيد أصبحت ترى المدرسهة مكانا مخيفا لا يليق بطفلها.

أما عن زوج انصاف فقد أحب المدرسة حقا لم يرد مفارقتها ودرس فيها رغم إصابته بالسكري « صار ينتقل على الكرسي المتحرك ولم يثنه ذلك عن أن يظل على العهد مع طلابه

---

[1]– أيمن العتوم، خاوية، ص 115.

[2]– المصدر نفسه، ص 117.

[3]– ياسين النصير، الرواية والمكان، ص 77.

[4]– راغب ناصر: آثار المدرسة في تكوين شخصية الفرد، 13 ماي 2019، موقع موضوع.

[5]– أيمن العتوم، ص 109.

فكان يذهب إلى المدرسة ويعطي حصصه كافة وهو يجلس على كرسيه المتحرك».[1] لكن المرض لم يمهله الفرصة لإكمال تعليمه و الشيء الذي أحبه مات قبل أن ينعم برؤية أطفاله الذي حرم منهم يكبرون.

وعن اللاجئين السوريين الذين أرادوا لهم أن يدرسوا ولو قليلا لكنهم لم يكونوا في وضع جيد لا جسديا ولا نفسيا لم يحلموا أصلا بأن هذا اليوم سياتي اليوم الذي يعودون فيه للتعلم.

« بدأ أن الأولاد راغبون في التعلم صمتهم الطويل وعيونهم المعلقة بأستاذهم تنتظر أن يبدأ وانضباطهم على مقاعدهم كما لو كانوا رهبانا في دير منسي » .[2] لم يصدقوا أنفسهم الحقوق التي ينالها الأطفال التائهون بدت لهم بعيده كنجم يظهر بريقها ثم يختفي مع النهار.

**_ السجّن:**

هو عالم آخر لا يعجب الشخصية في شيء لأنه مكان يعزلها عن الحرية و عن العيش « السجن بهذا المعنى نقطة انتقال من الخارج الى الداخل ومن العالم إلى الذات بالنسبه للنزيل بما يتضمنه ذلك الانتقال من تحوّل في القيم والعادات وإثقال لكهاله الإلزامات والمحظورات » .[3] فلا تجد الشخصية نفسها إلا وهي متوقعه في ذاتها ويزيد عذابات السجون ضيقة وسواده كل يوم يزداد بأعيننا.

ذكر السجن مرتين في الرواية أولهما عندما زجّوا زيادًا في السجن بهدف تزويده لهم بمعلومات عن صديقيه المناضلين « كانت الزنزالة التي يزيد طولها عن أربعه أمتار وكذلك عرضها قد انحشر فيها ما يقرب من 50 معتقلا ».[4] لم يكن زياد ملما بالأمور السياسية ولا من

---

[1]– أيمن العتوم، خاوية، ص 105.

[2]– المصدر نفسه، ص 286

[3]– حسين بحرواي: بنية الشكل الروائي، ص 55.

[4]– أيمن العتوم، خاوية، ص 179

المهتميّن بمعرفتها أصلا «فهو كان شخصًا بعيدا عن السياسة لهذا كان يظن أن هذا الاعتقال شيء يشبه العبثية والعشوائية ولم يفهم سببه ». [1] وجد نفسه في آخر المطاف محشورًا بين كمّ من هائل من المعتقلين طبع السّجن على كل واحد منهم بيدٍ من نار « بدوا موتى لولا صدورهم التي تعلو وتهبط ببطء بعضهم من الإرهاق وطول التعذيب ألقى بصدره على كتف الواقف إلى جانبه وراح يحاول أن يحظى بغفوة ولو خاطفه فتفر الغفوة من عينيه كلما نبت الوجع من أقدامه المسلوخة أو من أطرافه المشلوخة».[2] إن معاناتهم واحدة والمهم كذلك حتى أبسط الحقوق كالنوم لم يوفروه في تِكلُمُ السجون.

أما السجن الأخر الذي ذكر كان سجنا للنساء في معسكر أبي القعقاع وسلب روحهم قبل أجسادهم « وكل ألم في الجسد يصاحبه ألم في النفس وقد يحدث ألم النفس دون ألم في الجسد وقد يؤدي ألم النفس إلى ألم في الجسد وفي كل الأحوال لا يوجد فقط ألم في الجسد ».[3] وقد ظهر ذلك بشكل أكبر على سمر التي إغتصبها زياد « كان ألمها يزداد، ظل جرحها ينزف وروحها تتردد في أعماقها مثل عصفور ضعيف حبس في بئر مغلقة قامت إلى الزاوية تجر رجليها كان الألم في أسفل البطن وضعت يديها على بطنها لكي تحاول التخفيف من أمعائها التي تتقطع وتعذبها » .[4] أخذوا النساء بعدما احتدم نزاع بين الفصائل لتصبح النساء غنيمة أخرى لهم « تتدفق النساء من البركس إلى المكان يمشين في صف منتظم، عشر منهنّ في كل مرة ثم يستعرضن أمام الجالسين عن يمين القائد، ولدى كل واحد منهم خياران إما الشراء لتتخذ المرأة جارية وإما الزواج المتعة».[5]

---

[1]– حجت رسولي، علاقة الشخصية بالمكان المغلق والمفتوح، ص 20.

[2]– أيمن العتوم، خاوية، ص 179.

[3]– عادل صادق: الأم النفسي والعضوي، ص 26.

[4]– أيمن العتوم، خاوية، ص 241.

[5]– المصدر نفسه، ص 245.

مما لا شك فيه أن ألمهن بتواجدهنّ بمكان وحشيّ كهذا أسوء من السجناء العاديين كل ليلة يعاملن كما شية وتجارة.

**_ المقهى:**

يعد المقهى من أكثر الأماكن التي تهرب إليها الشخصية الإسترخاء ونسيان آلأمها النفسية أو شعورها السيئ « فالمقهى ملتقى الولادات الفكرية ومنطلق لها كذلك»[1] كما أنه في العادة « هناك دائما سبب ظاهر أو خفي يقضي بوجود الشخصية ضمن مقهى ما ... »[2] فهو بمثابة حقل لتفريغ المشاعر السلبية للشخصيّة، لكنّه قد لا يكون المكان الأفضل لذلك.

وفي الرواية لم يرد ذكر المقهى كثيرا نذكر في البدايه هروب جلال إليه « نزل إلى المقهى كان مكونا من قسمين اختار القسم المكشوف جلس في الهواء الطّلق كان الوقت خريفا عبرت نسمات باردة وجهه فشعر ببعض الراحة»[3] كان المقهى بمثابة نافذة تطل على العالم الخارجي وتحيل الشخصية الى الانغماس في مشاهدة العالم من هناك ونسيان ما يغير الصدور ويؤرق العقول « كان المقهى في القسم المكشوف خاليا من الزبائن بدأ الليل يسود راحت مصابيح البيوت البعيدة في مدن الغور وفلسطين تتلألأ في الليل البهيم كان منظرا مدهشا استطاع أن يريح بعض الأثقال الجاثمة على صدره وهو ينقل نظره بين الأفق».[4]

ذكر المقهى الثاني مرة في الفصل الثاني من الرواية وتحديدًا زياد « شعر بالانتشاء من رؤية الحبيبة ومتابعتها وهي تكاد تتعثر في مشيتها قرر أن يتّجه غربا إلى مقهى الروضة كان

---

[1]– ياسين النصير: الرواية والمكان، ص 42.

[2]– حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص 91.

[3]– أيمن العتوم، خاوية، ص 27.

[4]– المصدر نفسه، ص 29.

محتاجا إلى فنجان من القهوة ينهي فيه الزوبعة التي صعفت بوجدانه». [1] فقد فضل أن يشرب قهوة بعد رؤيته لحنين التي أحبها.

إذا فالمقهى مزارّ لانهاء الاضطرابات المؤقتة التي تزور الشخصيات وليس بالضرورة ذلك إذ من الممكن زيارته بغير هدف، غير أن ذلك لم يرد في الرواية.

**_ المسجد:**

هو مكان العبادة والتقرب الى الله وتطهير النفس من آثامها يهرب فيها الإنسان إلى الله « ومما لا شك فيه أن نوع المكان يؤثر في أخلاق وسلوك الشخصيات التي تتحرك فيه».[2] فالمسجد يدفع بالشخصية إلى تحسين سلوكها ودفعها نحو الأحسن.

وقد ظهر المسجد في الرواية عندما رآه جلال وهو مار في الطريق « كانت مئذنة مسجد (أبو قورة) للقادم من جهه جريدة الدستور تبدو وكأنها تشق مساكن عمّان نصفين، وقبل أن يهوى إلى نفق الصحافة كانت سمّاعات المسجد تصدح بأذان العشاء ردّد في سرّه لا حول ولا قوه الا بالله».[3]

وفي الفصل الثاني تم الإشارة الى الشخصية داخل المسجد يشكل أكثر تفصيلا وذلك حينما كان والد ليث يصلي بالناس أيام بدايات حرب سورية« كان أبو ليث يقرأ من سورة الأنبياء، لم يثنه عن إتمام الصّلاة أصوات الطّائرات التي كانت تحلق في الجو في الليلة الرابعة عشر من رمضان واطمئن هو والمصلون إلى أنهم في كتف الله ولا يتعدى على بيت الله إلا من أراد أن يعلن الحرب

[1]– أيمن العتوم، خاوية، ص 159.

[2]– محبوبة محمدي محمد آبادي: جماليات المكان في قصص سعيد حورانيّة، البيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011، ص 98.

[3]– أيمن العتوم، خاوية، ص 29.

على الله». [1] لكن الأعداء كثر و الشياطين كذلك أنها لا تحب أن ترى الناس تصلي كما أنهم قتلوا الأنفس « تطايرت أجساد المصلين وتناثرت الحجارة المهّدمة، وتداعت أركان المسجد الأخرى وهوت على من تحتها وغطى الركام الأشلاءًا ».[2] استشهدوا في المسجد أفضل الأمكنة من بين الجميع، رغم أن موتهم كان مؤلمًا قاسيًا على من رآهم متناثرين أشلاءًه ممزقة على شوارع سورية.

**_ المعسكر:**

يتم فيه التدريب على التصويب وكذا التدريبات الجسدية ووضح الخطط المحكمة ضد العدو وقد لعب المعسكر دورا كبيرًا في تغيير الشخصيات ودوافعها« يحكم على سلوك الإنسان من خلال تواجده في المكان فضلا عن تغيير كل مفاهيم الإنسان الأخلاقية والنفسية والسلوكية». [3]

إذ نجد زيادًا قد تغير كثيرًا بعد التحاقه بالمعسكر، كان دافعه واضحا في الانضمام بادئ الأمر إذن أنّه نسي أمرها بمجرد تغييره للمعسكر وانضمامه لأبي القعقاع « بدا أن هدف الإنتقام لزوجته صار يحلق بعيدًا وأن عينيها بدأتا تذوبان وتبتعدنان، وتصبحان غائمتين لا تكادان تُلمحان وضحك حتّى كأنه لم يبك في حياته ولو مرةً واحدة!! ».[4] فهو قد انغمس في المحرمات وارتكب ما ارتكب لم يهتز قلبه ولو لوهلة واحدة.

وعلى عكسه نجد صديقيه القدامى ليث وشادي وقد تغيرا للأحسن أرادا تحرير سورية من كل قبليهما وكانوا يرغبون دائما في الخروج لحصار العدو وهزيمته « قال له لن أقعد مع الخالفين» « ليس الأمر على هذا النحو اخترت عشرة، وستختارك في العملية القادمة لا أريد أن أشترك فيها

---

[1]– أيمن العتوم، خاوية، ص 182.

[2]– المصدر نفسه، ص 182.

[3]– محبوبة محمدي محمد آبادي: جماليات المكان في قصص سعيد حورانيّة، ص 92.

[4]– أيمن العتوم، خاوية، ص 246.

لا أريد أن تفوتني عملية واحدة »[1] أراد ليث أن يشترك في العمليات القتالية دائما مثل لهم المكان ولشادي النقطة الاساسية لتحرير وطنهم فتعلقوا بالمعسكر وأهله كثيرا.

على عكس زياد الذي لم يحب المكان « كل فتاة شريفة سقناها إلى الاغتصاب في المعسكر كانت تصرخ ونحن نستمع بصرخاتها فضلا عن أن تنقذها هي تماما مثل سورية».[2] لقد اعترف بذنبه في آخر المطاف بعدما استفاق من غفلته التي جعلت منه وحشا لا يرحم.

**ب. الأمكنة المفتوحة:**

وهي ما يطل على العلم الخارجي الأماكن التي لا تقيدها جدران ولا نوافذ، وذلك في أغلب الأحيان« لعل تقسيم المكان إلى المغلق والمفتوح يختلف حسب الرواية لأنه قد يتحول السجن بإنغلاقه الى مكان مفتوح في رواية لأنه كان مكان للتخطيط والتشكير والثورةعلى الذات لهذا هنا يخرج من الاتفاقية إلى آفاق أخرى جعلته مفتوحا ويعتقد هذا الأمر في رواية أخرى فيرجع السجن مغلقا على نفسه».[3] فالأمكنة المفتوحة تتعدى الوصف الذي يحدها بمجرد كونها تحيل الشخصية إلى الخارج إلى وصف أكثر دقة كما هو الحال مع الأمكنة المغلقة.

**_ المستشفى الميداني:**

على عكس المستشفيات العادية التي تعتبر أماكن مغلقة نجد المستشفيات الميدانية أماكن مفتوحة لأنها تنتقل من مكان إلى آخر لمعالجة الحالات الطارئة، وفي كثير من الأحيان يتم

[1]– أيمن العتوم، خاوية، ص 215.

[2]– المصدر نفسه، ص 260.

[3]– حجت رسولي، علاقة الشخصية بالمكان المغلق والمفتوح، ص18.

معالجة الشخص المصاب خارجا فهو« مستشفى في ساحة القتال ويكون جاهزا لإجراء الجراحات المنقذة للحياة »[1] وفي أحيان أخرى يتم وضع خيام لمكوث الطاقم الطبي.

وقد كانت وزارة الصحة الأردنية واثقة بجلال قائد الطاقم لذلك كانت تعينه ليذهب وطاقمه إلى البلدان المنكوبة لإنقاذ الناس، أول بعثة له كانت الذهاب إلى أنغولا « عبر المستشفى الميداني الذي يقوده الطبيب جلال غابات من الذرة وقصب السكر أنها إفريقيا...»[2] وكان دائم التأثر بساحل المرضى « هل أحدثك عن الأمراض يبدو أني أحتاج إلى نصف مستودعات الأدوية في الأردن لمقاومة خطرها هنا، كيف يمكن أن ينسى الإنسان بهذه السهولة »[3] تألم لمشاهدة انتشار الملاريا دون استطاعته على مساعدة الجميع.

لكن ما أثر في جلال أكثر من ذلك، هو ذهابه وطاقمه إلى شمال الأردن، وبالتحديد لمخيم الزعتري للاجئين السوريين « كان جلال يوجهه المشرق ولحيته الخفيفة في مقدمة الفريق الطبي كان يبتسم بهدوء على عادته، ويفحص كل حالة بدقة وعلى حدة»[4] لكنه كالعادة يتأثر لرؤية ما صنعته الحرب في أجساد متفاوتة الأعمار، لم تترك أحد دون أن تضع عليه علامة من علاماتها « رآه في أحضان أمه، قالت له: "إنه جائع" أجابها: "نعم دعيني أنظر لعل هناك شيء آخر». «اقترب منه أكثر لم يستطع هذه المرة أن يمنع نفسه عن البكاء تذكر ابنه بدرا عندما كان في مثل سنه».[5] على الرغم من ما راه جلال الا انه لم يقف دون حراك إنما ساعد عديده من السوريين من بينهم ليلاس وخالتها

---

[1]– طاقم الطبي، الموقع الطبي، 2018/04/29.

[2]– أيمن العتوم، خاوية، ص60.

[3]– المصدر نفسه، ص

[4]– المصدر نفسه، ص272.

[5]– المصدر نفسه، ص272.

**_ الشوارع والاحياء:**

الشارع هو جسر للعابرين والزائرين بما في ذلك الحيّ، غير أنهما جسرٌ للذكريات أيضا فبانتقال الأشخاص من أحياء هم وشوارعهم تغمرهم ذكرياتها « من الواضح أن الأحياء والشوارع تعتبر أماكن الانتقال ومرور نموذجية فهي ستشهد حركة الشخصيات وتشكل مسرحًا لغدوها ورواحها عندما تغادر أماكن إقامتها أو عملها».[1] فنقطتهما المشتركة تكمن في كونهما نقطة عبور وتحصل فيها العديد من الأحداث الروائية .

إن الشارع « ولساكينه حرية الفعل وإمكانية التنقل، وسعة الإطلاع والتبدل ولذا فعدم استقراره هو استقرار آخر هو التكوين الذي بدونه لم يصبح للشارع معنى».[2] فهو مدخل الحي ومخرج العالم الخارجي وقد تم ذكر الشوارع في عديد من صفحات الرواية فها هو زياد يعبر « شارع الشهداء المزدحم بالعمارات السكنية العالية ظل يمشي في هذا الشارع حتى تجاوز نقطة التقائه بالشارع الخراب من جهه الشرق».[3] كان يحاول ايصال أمه الى المستشفى حاملا إياها على ظهره التي تلد استطاع بقوته فعل ذلك رغم كون « شارع الشهداء في حي الواعر كالشهاداء أطول الشوارع امتدادا وتاريخا».[4] وقد كان الشارع بالنسبه لزياد جسر لذكريات سعيده كثيره عندما كانت « خطواته تذرع الشوارع بلا غاية شعر بالإنشاء من رؤية الحبيبة ومابعتها وهي تكاد تتعثر في مشيتها»[5] فقد شهدت الشوارع حبّه لحنين عبر فوقهاأعدادًا لا تُحصى وراقب حنينًا وهي تنتقل من شارع إلى آخر.

---

[1]– حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص 79.

[2]– ياسين النصير: الرواية والمكان، ص114.

[3]– أيمن العتوم، خاوية ، ص 143.

[4]– المصدر نفسه، ص 145.

[5]– المصدر نفسه، ص195.

أمّا عن الأحياء، نذكر يوم تمّت مهاجمتهم وقصف عددٍ من منازلهم « حين اقترب شم رائحة حريق، قدر أن بعض النيران قد نشبت في بعض الشّقق، ارتجفت ساقاه، همّ بأن يصرخ على أحدٍ ليسمعه، لم يكن في الحيّ حي، كان ساكنًا سكون الموتى، وهادئًا هدأة القبور! ». [1] إنّ الذكريات ممزوجة دائمًا، تحمل ما يَسُرُّ وما يُرهق، كما حصل في حيّ زياد وفي أغلب أحياء سوريّة « كانت صفوف كاملة من البنايات في حي بابا عمرو قد سُوّيت بأكملها بالأرض. دخلت سيّارات الإسعاف الحيّ، تهادت بين الطرق المُحفّرة، وأنقاض الحجارة كانت قد عادت إلى من تبقى لكي تُتقذهم من الأقبية والشوراع والبيوت ». [2] قصفت البيوت والناس، وكل من طالتها يد الحرب، لم تفرق بين صغير وكبير، انتشلتهم من دائرة الحياة لتلقي بهم في غياهب الموت.

**_ الخيام:**

أماكن شديدة الضّيق، سقوفها وأركانها لا تقي من نسمات الهواء، وتصنيفها بأنّها مفتوحة، لأنّها عبارة عن قماش متداعٍ فكأنّ قاطنيها يلبثون في العراء « فقد يكون السجن مكانًا مفتوحًا خلافًا لدلالته والحال أنّه مؤطّر بجدران أربعة وذلك لإنفتاح الأفكار الثائرة للسّجين، إذن إنّ لعلاقة الشخصيّة مع المكان دورًا مؤثرًا في تحديد نوع المكان ». [3]

علاقة الشخصيّات بالخيام علاقة نفور، فهم يُمضون أيّامهم آملين العودة إلى وطنهم مُحرّرًا، تؤرقهم دائمًا غصّة عالقة في حلاقمهم « كان أبي يقرأ كلّ يوم لي قصّة، كنّا عند بيت عمتّي في الحيّ الثاني، قالوا لي إنّ بيتنا قد قصف ومات أبي، هنا في المُخيّم لايوجد أحد يقرأ القصص لي كم أشتاق إلى أبي ».[4] إنه بإشتياقه الى ابيه يشتاق الى ايام جمعتهم سويا في سورية أيام كانت

[1] _ أيمن العتوم، خاوية، ص 176.
[2] _ المصدر نفسه، ص 189
[3] _ حجّت رسولي: علاقة الشخصيّة بالمكان المغلق والمفتوح، ص 18.
[4] _ أيمن العتوم، خاوية، ص 304.

جنّة للناظرين وهاهم الآن ألقتهم الحياة ليعيشوا في الخيام « ماذا يمكن ان تكون خيمة؟! انها خيمة هذا أدق وصف لها ماذا يزيد الى الحقيقة لو قال قائل إنها خرقة مثبتة في الأرض بدلاً من أنّ تطير في الهواء، وإنّها تجعل سقفًا ولو من خيش للذين يحلمون يسقف يُظلّهم بعد أنّ انهارت جميع السقوف!!». [1]

حينما أقيمت حفلات الزفاف كان لها لون آخر، لم تكن تحمل أي فرح أو سرور لصاحبها، من هناك وفي قلب الخيام، أبٌ يدفع ابنته ذات الثلاث عشرة عامًا للزواج بأربعينيّ من أجل النقود. « .... المجتمع ياأخي مليء بالخبث، لا تُساعد أنت في انتشاره، كن أحد الواقفين في وجهه ... ليس من أجل أحد، بل من اجل ابنتك». « ردّ عليه وهو يمضغ حروفه بمرارة: « لا استطيع؟!». « ولماذا؟!». « لقد أعطيتُ كلمة». « تراجع عنها ». « لقد أخذتُ منه مقابلها نقودًا ».[2] إنّ العيش في المخيّمات مُكلف كثيرًا، بعد أنّ نفذ ماله، اضطر إلى تزويج ابنته زواج مُتعة، والضحيّة الوحيد هنا هي الفتاة البريئة التي ستزيد آلامها مع مرور السنين.

**_ سوريّة:**

أصبح هذا البلد مدّمرًا، مُطوّقًا للسّلام والحريّة، فسوريّة كانت وردة تتلئلئ بين البلدان، يُشّع نورها، لكنّها انتشلت بأيدي المغتصبين.

العيد فيها مُغايرٌ للأعياد الأخرى « سُمعت أصوات عالية على الدرج وخطوات عجلى تهبط وأخرى تصعد، نظر حوله، لم يفهم شيئًا، كانت أطباق المعمول قد تناثرت على بلاط المطبخ، وأقراض العيد قد اختلطت بالدّم والدّخان، ومياه كثيرة سوداء وحمراء تملأ الأرض ». [3]

---

[1] _ أيمن العتوم، خاوية، ص309.

[2] _ المصدر نفسه، ص 296.

[3] _ المصدر نفسه، ص 187.

اضطرت الشخصيات إلى الفرار منها الى بلد آخر أكثر امانا إلى من حين وأخرى أثر فيها ما حدث « أصبح كل ما في هذه الارض وجمالياته تتاكل يوما بعد يوم وتمحى وتندثر والأخطر من ذلك هو أن شبح في الاستبداد لم يكنف بالولوج في المجتمع فقط بل حاول الدخول إلى الذات الإنسانية ». [1] كتغير شخصيه زياد إثر الحرب.

رغم تشويه الوردة التي كانت تتضح بالأمل يومًا ما، ومواطنيها إلاّ أنّ الأمل لا يزال يُلمحُ من بعيد، إنّ شخصية عادل صديق جلال تشيثت بأرضها، أبى مفارقتها وأحبّها رغم قسوتها « لم أحبّ وطنًا في حياتي كالشّام، أتعرف معنى هذا يا جلال؟!! لا شيء يمكن أنّ يطعنك كالحبّ، ولا شيء يمكن أنّ يُحصّنك ضد الألم والبؤس مثله ». [2] أراد أنّ يراها تنموا أمامه من جديد، وتعود أفضل ممّا كانت عليه أنّ يرى المتسببين فيها يتلاشون ويُحرقون كما أحرقوا أُناسًا، أبرياءًا كُثُرًا.

**_ الأردن:**

البلد الآمن الذي ذكر في بداية ونهاية الرواية، موطن للشخصيّات الرئيسية، التي كانت تعيش في قلب دائم من حالة الإبن " بدر"، فسلوى دائمة القلق على ابنها المصاب بالتوحد « فيما انخرطت سلوى مع بدر في نوبة انعزال كليّ في سريرها، كوّرت نفسها عليه كقوقعة تريد أنّ تحميه من أيّ خطر خارجي، وكأنّ التوحّد جرثومة تُصيب الإنسان من خارجه ». [3] ومعنى ذلك أنّ لكل مشاكله وهمومه التي يعاني منها حتى إذا كان ببلد آمن لكنّ ذلك لا يعني عدم وجود لحظات سعيدة، فهي _ سلوى_ عاشت العديد منها مع زوجها « قال لها : سنذهب هذا الأسبوع في كل يوم إلى مكان ولن نعود إلى البيت إلاّ حين ينهش التعب عافيتنا ». « ضحكت وهي تريح راسها على

[1] _ حجّت رسولي: علاقة الشخصيّة بالمكان المغلق والمفتوح، ص 27.
[2] _ أيمن العتوم، خاوية، ص 379.
[3] _ المصدر نفسه، ص85.

كتفه الأيمن أنا لا أصدق نفسي أشعر أنّها ذات الأيام التي قضيناها بعد التوجيهي مباشره حين كنا مخطوبين ».[1]

وبعد الحرب على سوريا واضطرار السوريين إلى اللجوء لعده بلدان كان من بينهم التي رحبت بهم إلى حين « أنشئ المخيم على بعد عشرين كيلومترا من من المقر في شمال شرق الاردن عشرات الآلاف من اللاجئين من مناطق مختلفه من سوريا جاؤوا... ».[2] رغم الحياه الصعبة إلا أن ذلك لم يثنهم عن الحلم في تحرر بلدهم والعودة إلى أحضانها.

وفي الأخير فان « كل مكان من هذه الأمكنة دلالة يحاكي شيئا ما في ذات الكاتب او في الذات الاجتماعية لتصبح مؤثّرة وفاعلة لا أماكن وعاء وأماكن اتّكاء».[3] إذ لكل مكان في رواية خاوية دلالته التي استوحاها الراوئي من أحداث وقعت ولا تزال تقع في مجتمعنا وغيره من المجتمعات.

[1] _ أيمن العتوم، خاوية، ص 43.

[2] _ المصدر نفسه، ص 276.

[3] _ ياسين النّصير: الرواية والمكان، ص 20.

# خاتمة

## خاتمة:

بعد اتمامنا لدراستنا البسيطة نعطي جملة من الاستنتاجات أهمها:

- أن الشخصية تم الاهتمام بها من قبل، وقد تمثل ذلك في التركيز على جعلها مستوحاة من الواقع، سبق في ذلك الكتاب الغربيون ثم تلاهم العرب في تقليديهم بادئ الأمر، وما فرض عليهم جعل شخصيتهم شبيهةً بالأشخاص ومواضيعهم التي تركز من خلالها بشكل كبير على تاريخ وواقع حصل من قبل.
- تفطن كل من الغرب والعرب إلى أهمية الشخصية وضرورة العناية بها والتركيز على تفاصيلها بشكل أكبر، وتخليهم عن الاعتماد الكلي على وصف مظهر الشخصية الفيزيائية، إلى ذكر تفاصيل واقعها الاجتماعي ومشاعرها المتعلقة بالبعد النفسي، والتي تمثل باتحادها معا شخصية متكاملة.
- أنواع الشخصيات الروائية مقارنة بالشخصيات الواقعية، خصوصا إذا كان واقع الرواية واقعيا فالكاتب لا يكتفي استقاء الأحداث والأمكنة الحقيقية فحسب إنما يتعدى ذلك بتجسيده لشخصيات تكاد تكون بسيطة لأشخاص واقعيين، فيرى أن هذا لا يعني المطابقة، إذ أن هناك اختلافات ومميزات لكل من الشخصيات الأخرى.
- تعدد أنواع الشخصيات الروائية واختلاف أدوارها حسب نوعها، فالشخصيات النامية تساعد في تصاعد الأحداث وتميزها وذلك بإختلافاتها من فصل لآخر، كما أن الشخصيات الرئيسية تمثل العجلة الرئيسية لفك غموض الرواية والإتيان بحلول في آخر الرواية، كما أن للشخصيات الهامشية دورا هاما رغم عدم ظهورها بشكل متكرر، إلا أن هناك هدفا من توظيف الروائي لها، في سعيها نحو حلم تحاول تحقيقه أو الوصول إليه.
- ارتباط أبعاد الشخصيات الثلاث مع بعضها البعض، فالبعد الفيزيائي يمثل مرآة تعكس الواقع الاجتماعي للشخصية، كما أن البعد النفسي واختلافه من فرح إلى حزن مثلا، يرجع

إلى تغيير البعد لاجتماعي للشخصية، ومن زاوية أخرى فإن نفسية الشخصية تتيح للكاتب وصف ملامحها، وما يخالجها من شعور ينعكس على صفاتها الجسمانية.

- لكل من التقنيتين السرديتين: الحدث والمكان دورا في تشكيل الشخصية وتغييرها، فالحدث يلعب دور المحول لأوضاع الشخصيات وتقلبها، ويظهر ذلك بشكل أكبر عندما يوظف الكاتب عنصر المفاجأة ويزيد من عقدة الحبكة التي تساعد في تعقيد الشخصيات، أما المكان فهو الوعاء الخاوي للشخصيات ومسار لذكرياتها وحقيقتها أو نفورها، بتغيير نوع المكان.
- أما عن رواية "خاوية" فهي رواية واقعية اجتماعية، استطاع "أيمن العتوم" من خلالها جمع بيئتين مختلفتين أولها الأردن، ونقل معاناة عائلة مع ابنهم المصاب بالتوحد، وكيفية التعامل ومع هذه الأمراض، ثم الانتقال باختزافية إلى سوريا وبدابات الحرب، كما ذكرها فعلته من تشريدها لعوائل وتدميرها لأخرى.
- استخدم الروائي "أيمن العتوم" لغة قوية ساعدت في توضيح الشخصيات والأحداث بصورة كبيرة، وما ساعده في ذلك تأثره الكبير بالقرآن الكريم، ويظهر ذلك بداية من العنوان "خاوية" المقتبس من القرآن، وكان مصطلح خاوية، رمزا لشعور الشخصية الرئيسية "بدر" بالفراغ بسبب التوحد، كما كان رمزا للدمار الذي جعل سوريا مكانا خاويا.
- اهتمام الروائي يجعل روايته مأساوية، وذلك بنقله لصور حية واقعية الأحداث ولا تزال وقد كانت أدائه في ذلك "عنصر المكان" إذ كان بارعا في توظيف عدة أمكنة لم يذكرها روائيون سابقون ووصفها بدقة وكأنك تشاهدها، ثم يصف ما آلت إليه بعد دمارها وتشوه منظرها التي كانت الحياة تغمره.

# قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع:

_ القرآن الكريم.

### 1/ قائمة المصادر:

_ أيمن العتوم: خاوية، دار المعرفة، ط10، مصر، 2016.

### 2/ قائمة المراجع:

### أ/ العربية:

1- حسن بحراوي: بنية الشّكل الروائيّ، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990.
2- حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت.
3- رشاد رشدي: فن القصة القصيرة، مُلتزمة الطبع والنشر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
4- عادل صادق: الألم النفسي والعضوي، توزيع الأهواء، مصر، 1986.
5- عبد القادر أبو شريفة، حسين لافي قزق: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ط4، دار الفكر، الأردن، عمان، 2008.
6- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، دار عالم المعرفة، الكويت، 1998
7- عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه دراسة ونقد، ط 9، دار الفكر العربي، القاهرة، 2013.
8- محبوبة محمدي محمد آبادي: جماليات المكان في قصص سعيد حورانيّة، البيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011.
9- محمد بوعزة، تحليل النّص السردي تقنيات ومفاهيم، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، بيروت، 2010.
10- محمد عياش الكبيسي: أنماط الشخصية وإشكالات القيادة والتربية في العمل الإسلامي المعاصر، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، .2010
11- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997.
12- محمد يوسف نجم، فن القصة، ط1، دار صادر، بيروت، عمان.

13- وليد ناصيف: الأسماء ومعانيها، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق، 1997.

14- ياسين النصير، الرواية والمكان، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، العراق، 1986.

**ب/ المترجمة:**

1- غاستون باشلار: جماليّات المكان، تر: غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعيّة للدّراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984.

2- فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيّات الروائية، تر: سعيد بنكراد، ط1، دار الحوار، الانقية، سورية، 2013.

3- كارل ألبرت: أنماط الشخصيّة أسرار وخفايا، تر: حسين حمزة، دار كنوز المعرفة، ط1، عمان، 2013.

## 3_ المعاجم والقواميس:

1- إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، أحمد حسن زيات، محمّد علي التجار: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004.

2- ابن منظور، لسان العرب، المجلد السابع، دار صادر، بيروت، 1290.

3- بديع القشاعلة: المعاني لمصطلحات في علم النّفس، شركة السيكولوجي، فلسطين، 2019.

4- الرّاغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، 502هـ.

5- لطفي الشربني: معجم مصطلحات الطب النفسي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، مصر.

6- مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.

7- محمد التوينجي: المعجم الملإفصّل في الأدب، ج1، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1999.

## 4_ المجلات:

1- حجت رسولي، علاقة الشخصية بالمكان المفتوح وتشكيل الفضاء الروائي، حاملا الوردة الأرجوانية نموذجا، إضاءات نقدية، إيران، 2018..

2- خليل برويني: بناء الشخصيّة في رواية نجمة أغسطس لصنع الله إبراهيم، إضاءات نقدية، العدد 14، إيران، 2014.

3- شريبط احمد شريبط: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998.

4- عبد الغفّار الحسن محمّد: المكان والزمان والرؤية السرديّة في رواية فريج المرر لحامد النّاظر

5- علي عبد الرحمان فتاح، تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل، مجلة كليّة الآداب، العدد 102، قسم: اللغة العربيّة، العراق.

## 5_ المواقع

1- هيئة تحرير الموقع: معجم المعاني الجامع، 2021/04/28، almaang. com

2- موقع: معاني الأسماء: meaningames. net

3- فاطمة مشعلة: مفهوم السعادة في علم النّفس، 02 مارس 2017، موقع موضوع: https://maxdoo3.com

**4**- راغب ناصر: آثار المدرسة في تكوين شخصية الفرد، 13 ماي 2019، موقع موضوع.

5- طاقم الطبي، الموقع الطبي، 2018/04/29.

# الفهرس

## فهرس المحتويات:


| العنوان | الصفحة |
|---|---|
| شكر وعرفان | |
| الإهداء | |
| مقدمة | أ–ب |
| **الفصل الأول:**<br>**ماهية الشخصيّة وعلاقتها بالمكونات السّرديّة** | |
| تمهيد | 5 |
| 1_مفهوم الشخصيّة | 7 |
| 1_1_لغة | 7 |
| 1_2_ اصطلاحا | 7 |
| 2_ أنواع الشخصيّة: | 10 |
| 2_1_ من الناحية التي تصفها حسب أدوارها | 10 |
| أ_ الشخصيّة الرئيسية | 10 |
| ب_ الشخصيّة الثانوية | 11 |
| 2_2_من الناحية التي تُصنّفها حسب الأحداث | 12 |
| أ_ الشخصيّة المسطّحة | 12 |
| ب_ الشخصيّة النّامية | 13 |
| ج_الشخصيّة الهامشيّة | 14 |

**الفهرس:**


| | |
|---|---|
| 3_ أبعاد الشخصيّة | 15 |
| 3_1_ البعد الفيزيائي ( الجسماني) | 15 |
| 3_1_ البعد الاجتماعي | 16 |
| 3_3_ البعد النّفسي | 17 |
| المبحث الثاني: علاقة الشخصيّة بالتقنيات السّرديّة الأخرى (الحدث، المكان) | 18 |
| 1_مفهوم الحدث | 19 |
| 1_1_علاقة الشخصية بالحدث الروائيّ | 19 |
| 1_2_ علاقة الشخصيّة بالمكان | 21 |
| **الفصل الثاني:**<br>**تمظهرات الشخصيّة في رواية _خاوية _ لأيمن العتوم** | |
| 1/ أنواع الشخصيات في الرواية | 26 |
| 1_1_ الشخصيات الرئيسية | 26 |
| 1_2_ الشخصيات الثانوية | 29 |
| 1_3_ الشخصيّات الثابتة | 33 |
| 1_4_ الشخصيات النّامية | 37 |
| 1_5_ الشخصيّات الهامشيّة | 41 |
| 2_ أبعاد الشخصيات الروائيّة | 44 |
| 2_1_ الأبعاد الجسمانيّة للشخصيّات | 44 |
| 2_2_ الأبعاد الاجتماعية للشخصيّات | 49 |

**الفهرس:**


| | |
|---|---|
| 2_3_ الأبعاد النفسيّة للشخصيّات | 53 |
| 3_ علاقة الشخصيّات بالتّقنيتين السّرديّتين ( الحدث/ المكان) | 62 |
| 3_1_ علاقة الشخصيّات بالحدث داخل الرّواية | 62 |
| 3_2_علاقة الشخصيات بالأمكنة داخل الرواية | 68 |
| خاتمة | 86 |
| قائمة المصادر والمراجع | 88 |
| الفهرس | 92 |